السِّياقُ القرآني عند المفسرين
بين ضوابط المُعتدلِين وقراءات المُغَالِين
دراسة تأْصِيليَّة نقْدِيَّة مقارنة

إعداد

د/ كرم عبدالستار أحمد محمد رضوان

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد بجامعة الأزهر- فرع قنا

السياق القرآني عند المفسرين بين ضوابط المعتدلين وقراءات المغالين

كرم عبدالستار أحمد محمد رضوان.

قسم التفسير وعلوم القرآن، كلية الدراسات الإسلامية والعربية بقنا، جامعة الأزهر، مصر

البريد الإلكتروني: karam_ahmed.2080@azhar.edu.eg

الملخص

تهدف هذه الدراسة إلى بيان طبيعة العلاقة بين القرآن وتفسيره؛ وذلك من خلال ظاهرة السياق القرآني، وتؤكد على أن بيان القرآن بالسياق قد أصَّل له القرآن الكريم ذاته، وأسَّس له النبي صلى الله عليه وسلم–وصحابته الكرام– رضي الله عنهم، والتابعون لهم بإحسان، كما تبين أن دور السياق في التفسير لا يقف عند بيان آيات القرن؛ بل يتعداه إلى الترجيح بين الأقوال التفسيرية. ومحور هذه الدراسة: المقارنة بين المناهج المنضبطة بضوابط الشرع واللغة، والمدارس التي تنادي بالقراءات المعاصرة للقرآن الكريم؛ ما كان منها بخلفية قديمة، وما كان بتبعية حديثة؛ من خلال السياق، وقد وقع الاختيار على المدرسة العقلية في القديم والحديث، والمدرسة الحداثية؛ بجامع تقديم العقل وإعطائه الصدارة المطلقة لفهم النص، والترجيح به، وتحاول الدراسة: الكشف عن أبعاد هذه المسألة، وبيان تداعيات هذه العلاقة وحدودها من خلال عرض مخاطر التوسع في دائرة هذه العلاقة من جهة، ومخاطر التضييق من جهة أخرى، كما تؤكد على أن السياق في التفسير ليس عملا آليا متاحا لكل عاقل؛ بل هو منضبط بقواعد لا تخرج عن مظلة الشرع،

واللغة، ولا تتعارض مع متطلبات العقل؛ لبيان طبيعة العلاقة بين النص القرآني المقدس وتفسيره من خلال السياق القرآني.

ويتكوّن البحث بعد المقدمة من تمهيد، وثلاثة فصول؛ الأول: ظاهرة السياق القرآني بين القدامى والمحدثين؛ تأصيل وتبيين، الثاني: إعمال السياق القرآني؛ مجالات ومآلات بين الانضباط والانفلات، الثالث: ضوابط السياق القرآني بين الإعمال والإهمال، وخاتمة؛ وفيها: أهم النتائج والتوصيات، والمصادر، وفهرس الموضوعات.

المنهج: اتبعت في دراستي هذه: المنهج التكاملي: (الوصفي- التحليلي- النقدي- المقارن).

النتائج: ومن أهمها: أن السياق القرآني مصدر أصيل للتفسير بالقرآن والسنة واللغة والعقل، وأن جُل الأخطاء في التفسير من الاستعمال الخاطئ للسياق؛ إفراطا أو تفريطا، لضمان الاستعمال الصحيح للسياق لابد من تفعيل الضوابط.

التوصيات: مما توصي به هذه الدراسة: المزيد من الاهتمام بالأصول التفسيرية، وإلزام دراسة الأصول التفسيرية على المتخصصين في كليات جامعة الأزهر وما على شاكلتها.، الموازنة بين كتب التفسير بمدى استعمالها للسياق، دراسة أسباب هدر السياق عند البعض، وبيان آثر ذلك على التفسير

الكلمات المفتاحية: السياق القرآني-التفسير-المعتدلون-المغالون-الضوابط-العقلانيون- الحداثيون .

The Qur'anic context among the interpreters between the controls of the moderates and the readings of the guerrillas

Karam Abdul Sattar Ahmed Mohammed Radwan.

Department of Interpretation and Qur'anIc Sciences, Faculty of Islamic and Arab Studies in Qana, Al-Azhar University, Egypt

E-mail: karam_ahmed.2080@azhar.edu.eg

Abstract:

This study aims to indicate the nature of the relationship between the Qur'an and its interpretation, through the phenomenon of the Qur'anic context, and emphasizes that the Qur'an's statement of context was originally issued to him by the Qur'an itself, and founded for him the Prophet (peace be upon him) and his esteemed companions - May God bless them, Their followers are charitably dependent, and the role of context in interpretation has proved to be not when the verses of the century are stated; The focus of this study: the comparison between the curricula disciplined by the rules of law and language, and the schools that advocate contemporary readings of the Qur'an; On the other hand, it also emphasizes that the context in interpretation is not an automated act available to every sane person;

The research after the introduction consists of a preface, and three chapters; the first: the phenomenon of the Qur'anic context between the old and the modern; rooting and showing, the second: the realization of the Qur'anic context; areas and fates between discipline and dislocation, the third: the controls of the Qur'anic context between realization and neglect, and a conclusion; and in

it: the most important results and recommendations, sources, and the index of topics.

Curriculum: I followed in my study this: integrative approach: (descriptive- analytical- critical- comparative).

Results: The most important of which is that the Qur'anic context is an authentic source of interpretation in the Qur'an, Sunnah, language and reason, and that most of the errors in interpretation are the wrong use of the context;

Recommendations: What this study recommends: more attention to interpretive principles, the obligation to study interpretative assets on specialists in al-Azhar University colleges and the like.

Keywords: Qur'anic context - interpretation - moderates - exaggerated - controls - rationalists - modernists.

مقدمة البحث:

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق، وأنزل عليه الفرقان؛ تبيانا لكل ما جَل ودق، والصلاة والسلام على سيدنا محمد؛ الفاتحِ لما أُغلق، والمحيي لما اندثر واندق، وعلى آله، وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الحق، وبعد: فمن جميل توفيق الله تعالى-أن تُنفق الأوقات والأعمار في خدمة كتاب الله تعالى-لمحاولة فهم مراده من كلامه-والله أعلم بمراده؛ فهو النعمة الكبرى، والمنة العظمى والحجة المثلى، اصطفي-بفضله-للإيمان به وخدمته من شاء، وصرف عنه-بحكمته-من شاء، ولما كان القران الكريم محط أنظار جميع الطوائف المختلفة المناهج والغايات، وكل منهم يأخذ منه ما يُقوِّم وِجْهته وغايته-حسب ما يظن أو يرى-؛ لذا أوجب المتخصصون وضع أصول وضوابط تحول دون العبث في فهم كتاب الله-تعالى، ولتكون بمثابة الحصن الواقي للفهم السليم للقرآن الكريم، ومن خلالها يتبين المقبول من المردود من أقوال هذه الطوائف في تفسير كتاب الله-تعالى.

ويعد مصطلح السياق من الألفاظ الأكثر حضورا في حقل الدراسات القرآنية المعاصرة، ومن أشهرها اختلافا في حقيقته ومدلوله، ومن أقدمها تداولا بين الاتجاهات والمدارس المختلفة، ومن أبرزها أثرا على دلالة النص القرآني، كما أنه يعد من أعظم الأصول والضوابط المُعينة على تفسير القران الكريم؛ تفسيرا صحيحا وبخاصة عندما يصبح السياق هو المنفذ الوحيد للرد على العقلانيين والحداثيين ومن على شاكلتهم ممن ينكرون الكثير من الأصول التفسيرية؛ التي لا تروق لعقولهم كبعض الأحاديث وعمل الصحابة؛ فلا يمكنهم إنكار السياق لأنهم يعدونه من

مفاخر أفكارهم؛ فمن المسلَّم به عند العقلاء على وجه العموم- عند التعمق في النظر، والتجرد عن الهوى-أن آيات القرآن تدعو إلى الحق والصلاح، وتنهى عن الباطل والفساد، وقد تفطَّن العلماء عامة والمفسرون منهم خاصة لهذا الأصل مبكرا، وأنزلوه منزلته اللائقة به؛ مع شائبة- هي محور هذا البحث-:الإفراط أو التفريط في استعماله؛ ما بين مدارس ذات أصول قديمة وأخرى ذات طابع حداثي، وهي خطوة سبقت بخطوات، ولعل ما يميزها: التأصيل بالسياق لبيان النص القرآني، مع التركيز على المقارنة والنقد في الاستعمال بين تفسير الجمهور المنضبط بضوابط الشرع واللغة، وتفسير المدارس العقلية والحداثية المجرد عن هذه الضوابط .

مشكلة البحث:

شُغلت المدارس العلمية في القديم والحديث بتفسير النصوص، وبخاصة القرآن الكريم، وكان السياق من أعظم أدوات البيان والترجيح عند جُلها، إلا أن الشغف به جعل الكثير من هذه المدارس تنحرف به عن جادة الطريق: إفراطا؛ خدمة لمذهبها ومبادئه كالمدرسة العقلية بإعطاء العقل الصدارة المطلقة في الفهم والترجيح، وقراءة النص القرآني بعقلانية(١)، أو تفريطا؛ بهجر السياق؛ إلا سياقا مبتورا لا يمت إلى السياق بصلة كقراءات أصحاب المدرسة الحداثية في الغرب والشرق؛ وهي قراءات تأويلية خارجة عن نطاق المعهود من لغة العرب ومقاصد الشرع، مستمدة آلياتها من تجارب الغرب في فهم نصوصهم المقدسة صرفا

١ -وهي: القول بأولية العقل في الحكم على الأشياء وتقديمه على غيره، ومنها القول بأن الوجود كله وجود عقلي (الاتجاهات العقلانية الحديثة، ناصر العقل،صـ ١٦

ونقدا؛ باستخدام نظريات لغوية مبتدعة (كالبنيوية)(١)، والتفكيكية(٢)، والسيميائية (٣) حتى غدت مرتكزة على أسس أربعة:

١- العقلانية: التي تعني عندهم معيار الصحة والتقدم والتحسين المستمر للجهد الإنساني.

٢- التأريخية: وهي تعني معقولية التحول، وخضوع المجتمع لحركة متجددة تحدد تطوره وتقدمه.

٣- الحرية: وهي تمثل الأرضية لشرعية السلطة، وحق الإنسان في

---

١ -البنيوية: لفظ اشتق من البنية، وتعنى بتحليل المسألة إلى عناصرها المؤلفة منها، دون نظر إلى أية عوامل خارجية عنها وهي عبارة عن منهج فكري وأداة للتحليل، تقوم على فكرة الكلية أو المجموع المنتظم. اهتمت بجميع نواحي المعرفة الإنسانية، وإن كانت قد اشتهرت في مجال علم اللغة والنقد الأدبي، (انظر: المعجم الأدبي، جبور عبد النور، بيروت، دار العلم لملايين، (ط٢)،١٩٨٤م.)

٢- التفكيكية: مشتقة من فكك، وتعني تفكيك الارتباطات المفترضة بين اللغة وكل ما يقع خارجها، والتفكيكية (deconstruction) إحدى مدارس الفلسفة والنقد الأدبي التي تنحو إلى القول باستحالة الوصول إلى فهم متكامل أو على الأقل متماسك للنص أيا كان, فعملية القراءة والتفسير هي عملية اصطناعية محضة يقوم بها القارئ الذي يقوم بالتفسير وبالتالي يستحيل وجود نص رسالة واحدة متماسكة ومتجانسة.(انظر: المصطلحات الأدبية الحديثة، لونجمان، ت:د/محمد عناني، دراسة ومعجم إنجليزي/ عربي، ص ١٣١، الشركة المصرية العالمية للنشر- ط ٢، في:١٩٩٧م

٣ - السيميائية أوالسيمانتية: علم الدلالة، وهو علم يبحث في الدلالات اللغوية، يدرس المعاني اللغوية على صعيد المفردات والتراكيب، وما يتبعه من تطور لهذه المفردات بعيداً عن الاشتقاقات التاريخية لها. (انظر: دليل الناقد العربي، الرويلي والبازعي، ص ١٧٧،بتصرف، المركز الثقافي العربي، ط ٣، الدار البيضاء.

تقرير شؤونه دون إكراه.

٤- العلمانية: بمفهوم عزل السلطات عن الدين، واعتبار أن الإنسان هو وحده المرجع لشؤون حياته كلها(١)، وليس من غرض البحث: تتبع آراء هذه الطوائف، واستقراء الأخطاء في مناهجها التنظيرية والتطبيقية؛ فهذا أمر جد عسير؛ لكثرته وتشعبه، كما أن ليس من أغراض البحث: وضع المدرستين في كفة واحدة في مقابلة المعتدلين؛ فبينهما بون شاسع، إلا أن توافقا من وجهٍ يجمعهما؛ وهو التسليم المطلق للعقل، وتسخير السياق القرآني حسب ما ترتضيه عقولهم، لا حسب ضوابط الشرع واللغة؛ فجاء الأمر متأرجحا بين الإفراط والتفريط، وكلا الأمرين شر مستطير؛ فكان لزاما وضع السياق في موضعه اللائق به، ونقد المناهج والأفكار المغالى فيها؛ بالتأصيل للسياق في التفسير، وتفعيل ضوابطه، وبيان أسباب الخطأ فيه.

أهمية البحث وأسباب اختياره:

منذ أن شرفني الله-تعالى-بالانضمام إلى جملة خدام كتاب الله-تعالى-وعلومه، وأنا أجدني- بفضل الله ومشيئته- أتوق دائما

إلى البحث في أصول هذا العلم، في محاولة جادة لفهم ما انتثر، وإحياء ما اندثر، وتبيين ما خفي، وتقويم ما اعوج....

ويمكن حصر أهمية البحث وأسباب اختياره في نقاط؛ من أهمها:

١- أن هذا العمل يعد من باب التدبر في القرآن الكريم المأمور به؛

١- أسس الحداثة ومعوقاتها في العالم العربي المعاصر، ص٣ بتصرف واختصار، مقال للدكتور: عبدالله تركماني على شبكة التواصل الاجتماعي

بفهمه على الوجه اللائق.

٢- التفسير بالسياق القرآني لون من ألوان تفسير القرآن بالقرآن الذي هو أولى طرق التفسير.

٣- بيان أهمية التأسيس والتأصيل للأصول التفسيرية، ومنها السياق.

٤- عناية المدرسة العقلية في القديم والحديث بالسياق القرآني مع المغالاة- التي لا تحمد- في تقديم العقل.

٥- ظاهرة هدر السياق في المدرسة الحداثية، إلا سياقا من خيال أصحاب المدرسة ذاتها؛ خدمة لأفكارهم.

٦- الوقوف على أن جل الانحرافات في التفسير من الاستعمال الخاطئ للسياق؛ إفراطا أو تفريطا

٧- تحقيق التفسير بالسياق المنضبط عند الجمهور، مع مقارنته بالباطل المنفلت عند العقلانيين والحداثيين.

٨- بيان أهمية القواعد لضبط العملية التفسيرية، وبخاصة قواعد البيان والترجيح بالسياق.

٩- لم أقف على من أفرده تأليفا بهذا الطرح" السياق القرآني بين ضوابط المعتدلين وقراءات المغالين "دراسة تأصيلية نقدية مقارنة"

<u>أسئلة البحث:</u>

*- هل للسياق القرآني أصل معتبر، وما موقعه بين الأصول التفسيرية البيانية والترجيحية ؟

*- ما القاسم المشترك بين المدرسة العقلية والحداثية في انحرافها

عن التفسير بالسياق؟

*- ما مجالات ومآلات السياق عند المنضبطين والمنفلتين؟

*- ما أسباب الانحرافات في التفسير من خلال السياق، وما كيفية التقويم لهذه الانحرافات ؟

*- ما ضوابط البيان والترجيح بالسياق القرآني، وهل لذلك من نماذج تطبيقية ؟

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى:

١- التأصيل والتأسيس لظاهرة السياق القرآني.

٢- بيان موقف بعض المدارس من السياق كالمدرسة العقلية والحداثية، وأسباب انحرافهما به.

٣- التعرف على دور السياق في فهم النص، والترجيح به بضوابط معتبرة.

٤- الوقوف على النقد العلمي للانحرافات في التفسير بالسياق عند المغالين.

٥- بيان أسباب الانحراف في التفسير من خلال السياق؛ إفراطا أو تفريطا، وكيفية التقويم.

منهج البحث:

تقتضي طبيعة البحث: استخدام المنهج الوصفي المشفوع بالتحليل في محاولة للتأصيل لظاهرة السياق، ودوره في البيان والترجيح بضوابط

متكاملة؛ شرعية ولغوية وعقلية، كما يقتضى استعمال المنهج النقدي بالنظر في السياق المغالى فيه من قبل بعض المدارس في القديم والحديث، والرد على أصحابها من خلال نماذج- أحسبها كافية- في بيان المراد، ووضع ضوابط تكون ضامنه للاستعمال الصحيح للسياق التفسيري للنص القرآني.

عملي في البحث وإجراءات السير فيه:

*- لم آلو جهدا في تتبع ما استطعت من أقوال العلماء عامة والمفسرين خاصة في بيان التأصيل للسياق التفسيري، وأهميته باعتباره من أهم أدوات البيان والترجيح.

*- التأكيد على الدراسة المقارنة بين الاستعمال السياقي للنص القرآني المنضبط والمنفلت.

*- محاولة وضع ضوابط ضامنة للاستعمال الصحيح للسياق التفسيري.

*- عزو الآيات إلى سورها، وتخريج الاحاديث والآثار من مظانها، ونسبة الأقوال إلى أصحابها.

خطة البحث والسير فيه:

اقتضت خطة البحث والسير فيه تقسيمه بعد المقدمة إلي: تمهيد وثلاثة فصول وخاتمة، ويأتي التمهيد ليميط اللثام عن بيان المفردات المكوِّنة لعنوان البحث، أما الفصل الأول؛ فهو عن الجانب النظري، وعنوانه: ظاهرة السياق القرآني بين القدامى والمحدثين؛ تأصيل وتبيين، وينطوي على ثلاثة مباحث، وتحت كل مبحث مطالب؛ المبحث الأول: حجية السياق القرآني بين الإمكان والإلزام، الثاني: أركان السياق القرآني وعناصره

وأنواعه، الثالث: أهمية السياق القرآني. وأما الفصل الثاني،-وهو الجانب التطبيقي الأول-؛ فهو بعنوان: إعمال السياق القرآني؛ مجالات ومآلات بين الانضباط والانفلات، وينطوي على مبحثين؛ الأول: مجالات ومآلات الساق القرآني عند المعتدلين، وتحته مطلبان. المبحث الثاني: مجالات ومآلات السياق القرآني عند المخالفين؛ وتحته مطلبان. وأما الفصل الثالث؛-وهو الجانب التطبيقي الثاني؛ فهو بعنوان: ضوابط السياق القرآني بين الإعمال والإهمال، وفيه مبحثان: الأول الضوابط الحاكمة للسياق القرآني المعتدل، وموقف المغالين منها ويتضمن عشرة ضوابط، الثاني: بعض النماذج للتفسير بالسياق القرآني المعتدل، وموقف المغالين منها، الخاتمة؛ وتتضمن: أهم نتائج البحث وتوصياته، والمراجع، وفهرس الموضوعات

حدود البحث:

يتحدد البحث بدراسة السياق عند المفسرين للنص القرآني دراسة نقدية مقارنة بين منهج المعتدلين في الاستعمال بضوابط الشرع واللغة، والمغالين فيه ما بين إفراط- متمثلا في أصحاب المدرسة العقلية في القديم والحديث، وتفريط- متمثلا في أصحاب المدرسة الحداثية، ولما كان الموضوع متشعب الأركان متعدد الأطراف؛ لذا سأكتفي بالإجابة على أسئلة البحث، وتحقيق أهدفه- قدر الطاقة، مع إيراد نماذج مسقطا عليها المقارنة والنقد بين المعتدلين والمغالين.

تنبيهان في غاية الأهمية:

الأول: أن اختيار العقلانيين والحداثيين في مقابلة المعتدلين لا يعني بحال من الأحوال أنهما يسيران بمنهج واحد مغاير للاعتدال، أو أن الحكم على اتجاههما متوافق فيما بينهما؛ فالمدرسة العقلانية القديمة (المعتزلة)

لها مبادؤها الخاصة بها والتي لا يشاركها فيها إلا من آمن بها جميعا، وأما العقلانيون الجدد فهم ليسوا أتباع المعتزلة لانهم لا يتبعون مبادئهم؛ إلا أنهم يوافقونهم في إعطاء العقل حرية تفوق ما يحتمله، وهم مع هذا متفاوتون في مساحة الحرية العقلية لفهم النص، وأما الحداثيون فليس لهم منهج يجمعهم إلا تقديس العقل وتقديمه في كل شيء حتى ولو على حساب الثوابت من الدين، وأن انحرافاتهم لا تخفى، وليس لها تأويل بوجه من الوجوه المعتبرة.

الثاني: لا أقصد من وراء إيراد هذه المدارس إلا ضرب الأمثلة لما انحرفوا فيه عن جمهور العلماء، وليس استقصاء أخطائهم وانحرافاتهم؛ فإن كل انحراف يحتاج إلى بحث مستقل.

الدراسات السابقة:

كما ذكرت سابقا لم أقف على من أفرد رسالة علمية أو بحثا من أهل التخصص في التفسير وعلوم القرآن بهذا الطرح: شكلا وموضوعا، ولا يعني هذا أنني قد أتيت بما لم يستطعه الأوائل؛ فقد أفدت كثيرا من رسائل علمية وبحوث ومقالات أكاديمية، زيادة على مراجع اقتربت من موضوع بحثي كثيرا ولم تكن ذاته، ومنها على سبيل المثال:

١- رسالة دكتوراه في التفسير من جامعة أم القرى، بعنوان: السياق القرآني وأثره في تفسير المدرسة العقلية الحديثة للدكتور: سعيد الشهراني، عالج فيها قضايا من أهمها: مدى عناية رواد المدرسة العقلانية الحديثة بالسياق، مع هجرهم له حينما يتعارض مع عقولهم، وقد أفدت من هذه الرسالة مع المناقشة والترجيح.

٢- رسالة تخصص(ماجستير) في التفسير من جامعة أم القرى، بعنوان: السياق القرآني وأثره في التفسير/دراسة نظرية تطبيقية من خلال تفسير ابن كثير، إعداد الباحث :عبدالرحمن عبدالله سرور جرمان المطيري، وقد نوقشت عام ١٤٢٩هـ ، وقد قام الباحث فيها بتطبيق السياق القرآني على تفسير ابن كثير، وهي رسالة جيدة، وقد أفدت منها في بعض فصولها.

وبجانب رسائل التخصص قد أفدت من رسائل في تخصصات أخرى، منها:

١- في اللغة العربية: دلالة السياق، وهي رسالة دكتوراه للدكتور/ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي نوقشت في جامعة أم القرى عام ١٤٢٤هـ، وهي في غير التخصص.

٢- في الأصول: دلالة السياق عند الأصوليين- دراسة نظرية تطبيقية، وهي رسالة تخصص في أصول الفقه(ماجستير) للباحث: سعد بن مقبل بن عيسى العنزي قدمت لجامعة أم القرى، وكما هو واضح من عنوانها هي ايضا- في غير التخصص، وقد انصبت عناية صاحبها على كيفية استنباط الأحكام التشريعية وأثر السياق في ذلك. ،كما أفدت من المقالات والبحوث التي أثْرت بحثي، وقد أشرت لذلك كله في هامش الصفحات، ومصادر البحث.

المبحث التمهيدي: نظرات في الألفاظ المكوِّنة لعنوان البحث ودلالاتها:

إن تحديد المفاهيم وضبطها، والسير بها في مسارها المنضبط طريق مأمون للقضايا على وجه العموم، والعلمية منها على وجه الخصوص؛ لذا كان الابتداء ببيان المفردات المكونة لعنوان البحث أمرا ضروريا للوقوف على مدلولاتها ومضامينها.

مفهوم السياق القرآني عند المفسرين بين القدامى والمحدثين:

قبل الكلام على مفهوم السياق في المعاجم العربية، وعند المؤولين للنص القرآني من القدامى والمحدثين لابد من الإلماح إلى أن مفهوم السياق يختلف حسب العلم المدروس، ومنهج كل دارس؛ فيُراد بالمعجمي: المعنى المستقي من المعجمات، ويُمثّل المعنى الوَضعي الأصلي للفظ الذي سُمّيَ: المعنى المركزي أو الأساس(١)، والفارق الأساسي بين المعنيين؛ المعجمي والسياقي هو تعدّد الأول وتحدّد الثاني(٢)، وهذا النوع من المعنى للكلمة وإن كان له علاقة بالمعنى الاصطلاحي من جهة إلا أن المعنى الاصطلاحي للمفردة محل البحث أوسع دلالة من المعنى المراد، كما أن المعنى الاصطلاحي قد يضيق أو يتسع حسب منهج المتكلم ومفهومه

١- دلالة الألفاظ، د. إبراهيم أنيس، صـ١٠٦، ١١٣.

٢ – اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان، ٣٢٥.

السياق من خلال مفهوميه؛ اللغوي والاصطلاحي:

المفهوم اللغوي: المتتبع لمادة السياق(السين والواو والقاف) من خلال المعاجم العربية يرى أنها تدور في فلك التتابع، جاء في لسان العرب:" السياق لغة من مادة (س، و، ق) ساق يسوق سوقا أو سياقا، أي التتابع، وساق الماشية من باب قال وقام فهو سائق وسواق(١) وجاء في كشاف المصطلحات: سياق الكلام تتابعه وأسلوبه الذي عليه يجري(٢)؛ فالسياق في المعاجم يعنى: التسلسل والتتابع إشارة إلى الاتصال وغيرها مما يكون في هذا المعنى "فالسياق لغة هو التتابع والسير والانتظام في قطيع واحد فإذا قلنا سياق الكلمات فإننا نعني بذلك تتابعها وسردها في الجملة أو العبارة"(٣)

من إطلاقات السياق في لغة العرب:

يطلق لفظ السياق ويراد به معان محددة عند العرب منها:

***- المهر: تقول العرب: ساق فلان من امرأته أي أعطاها مهرها، والسياق المهر(٤)**

***- النزع عند الموت، والموت يقال: سقته سياقا ورأيته يسوق سياقا أي ينزع نزعا(٥)**

---

١ - لسان العرب لابن منظور مادة (سو ق) ،١٦٦/١٠.

٢ - كشاف المصطلحات للتهانوي، جـ٤، صـ ٢٧.

٣ - نظرية السياق بين القدماء والمحدثين، عبد المنعم خليل، صـ ٢٢.

٤ - لسان العرب، ابن منظور، مادة: سوق١٦٦/١٠.

٥- العين للخليل بن أحمد الفراهيدي، ٣٤٥/٩.

***- ما يتقي به الصائد ويستتر؛ جاء في تاج العروس: قَالَ ابنُ دُرَيْدٍ: {السَّيِّقَةُ: الدَّرِيئة(١)**

***- الأمر الشديد؛ جاء في التهذيب: وَقَالَ أهلُ اللُّغَة: قيل لِلْأَمْرِ الشَّديد ساقٌ (٢) وفي أساس البلاغة: و" إليك يساق الحديث وهذا الكلام مساقة إلى كذا، وجئتك بالحديث على سوقه: على سرده(٣)، وبهذا يتبين أن المادة تدور على معنى التتابع والاتصال سواء أكان حسيا أم معنويا.**

<u>السياق في الاصطلاح:</u>

مصطلح السياق القرآني يعني: دراسة اللفظة في جملتها أو الجملة في مقطعها أو المقطع بين مقاطع السورة أو السورة بين سور القرآن كله، وقد يكون ذلك بالنظر إلى وضع اللفظة أو الجملة أو المقطع أو السورة في محلها؛ وهو المحيط اللغوي فحسب، أو بالنظر إلى ما يحيط به من عوامل خارجية؛ أو بالنظر إلى الأمرين مجتمعين؛ والأخير هو الأولى، ومن هنا يتحدد المفهوم السياقي، إلا أن مصطلح السياق يبدو أنه من المصطلحات العصية على تحديد مفهومه لما يكتنفه من تشعب وتوغل بين الحركات الفكرية الثابت منها والمتجدد، يقول جون لاينز: لا يمكن إعطاء جواب بسيط على سؤال ما السياق؟"(٤) فعلى الرغم من تناول السياق في

١- الدريئة: ما يستتر به الصائد ليختل الصيد، حلقة أو دائرة يتعلم عليها الطعن والرمي المعجم الوسيط، ٢٧٧/١.

٢- تهذيب اللغة، للأزهري، ٢٥١/٣، وانظر: الخصائص لابن جني، ٢٥١/٣.

٣- أساس البلاغة ، للزمخشري، ٢٥١/٣.

٤- اللغة والمعنى والسياق، جون لاينز، ترجمة: عباس صادق عبد الوهاب،٢٤٢.

التراث العربي، إلا أن اللغويين والبلاغيين والمفسرين والأصوليين استعملوه استعمالات متنوعة ومتعددة، واعتمدوا عليه للاستفادة منه في فهم النصوص وبنائها(١)، وقد أكثر العلماء عامة وعلماء التفسير خاصة- قديما- من ذكر السياق واستعملوه في مصنفاتهم، ومع كثرة هذا الاستعمال إلا أنهم لم يتقيدوا بتحديد مفهوم منضبط له؛ فلا يكاد الناظر في المؤلفات القديمة- مع كامل عنايتها بالسياق- يجد تعريفا جامعا لمفهومه؛ فقد انصبت عنايتهم على استعمالات السياق وآثاره، ومع ذلك فلم تخل مؤلفات المفسرين وغيرهم من عبارات يمكن أن يفهم من خلالها بعض جوانب مفهوم السياق وأنوعه واستعمالاته؛ فالطبري-رحمه الله- وهو من أقدم المفسرين يعلل بعض اختياراته التفسيرية بمفهوم السياق؛ فيقول:" فإنما اخترنا ما اخترنا من التأويل طلب اتساق الكلام على نظام في المعنى"، وعلل ما ذهب إليه من اختيار لما يقتضيه السياق والمعنى(٢) ولم يغفل ابن كثير-رحمه الله-أمر السياق بل يرجح به مستعينا بآيات من القرآن"(٣)، ويؤكد الزركشي- رحمه الله- على بُعد آخر للسياق فيقول:" ليكن محط نظر المفسر مراعاة نظم الكلام الذي سيق له، وإن خالف أصل الوضع اللغوي لثبوت التجوز(٤)،

١- انظر: دلالة السياق، ردة الله بن ردة ، صـ ٤١.

٢- راجع: جامع البيان لابن جرير الطبري عند تفسيره لقول- الله تعالى(ما ننسخ من آية أو ننسها) ٤٧١/٢ وما بعدها.

٣- راجع: تفسير ابن كثير على سبيل المثال عند بيان قول الله-تعالى{مالك يوم الدين} ١٣٣/١.

٤- البرهان للزركشي ٣١٧/١

ويذهب بعض الدراسيين المعاصرين(١) إلى أن السياق القرآني يعني: تتابع المعاني وانتظامها في سلك الألفاظ القرآنية، لتبلغ غايتها الموضوعية في بيان المعنى المقصود، دون انقطاع أو انفصال(٢)، ويعرفه باحث معاصر آخر(٣) بقوله: ما يحيط بالنص من عوامل داخلية أو خارجية لها أثر في فهمه من سابق أو لاحق به، أو حال المخاطب، والغرض الذي سيق له، والجو الذي نزل فيه(٤)، ويعرف السياق القرآني باحث معاصر ثالث(٥) بقوله: تتابع المفردات والجمل والتراكيب القرآنية المرتبطة لأداء المعنى (٦)، ولعل أوفق ما عرف به السياق هو: "ما يحيط بالنص–اللفظ أو الآية أو الآيات– من عوامل داخلية وخارجية، لها أثر في فهمه، من سابق أو لا حق به، أو حال من حال المخاطِب،

١– وهو الدكتور عبد الفتاح المثنى– وفقه الله –.

٢ –نظرية السياق د/ عبد الفتاح المثنى ص١٥.

٣ –وهو الباحث: سعيد بن محمد الشهراني – وفقه الله –.

٤– دلالة السياق القرآني في تفسير أضواء البيان للعلامة لشنقيطي، دراسة موضوعية تحليلية ص١٤، وهي رسالة ماجستير مقدمة للجامعة الأردنية من الباحث: سعيد بن محمد الشهراني – وفقه الله –.

٥– وهو الباحث: عبد الرحمن بن عبد الله سرور جرمان المطيري – وفقه الله –.

٦– السياق القرآني واثره في التفسير دراسة نظرية وتطبيقية من خلال تفسير ابن كثير ص٧١ وهي رسالة ماجستير مطبوعة مقدمة لجامعة أم القرى من إعداد الباحث: عبد الرحمن بن عبد الله سرور جرمان المطيري، وقد رجح هذا التعريف وعلل له، وقد افدت من هذه الرسالة،

والمخاطبَ، والغرض الذي سيق له، والجو الذي نزل فيه"(١)، وقد لخص صاحب كتاب: نظرية السياق مميزات السياق القرآني عن بقية السياقات حيث جعلها في ثلاث ميزات :

١-ضبط السياق القرآني لفهم المتلقي

٢- عدم قابلية السياق القرآني للتفكيك أو التجزيء

٣- مرونة وحيوية السياق القرآني(٢)

ضوابط المعتدلين؛ الضابط؛ يقال: "ضَبَطَ الرجلُ الشيء يضبِطه ضَبْطاً، إذا أخذه أخذاً شديداً. والرجل الضابط: الشديد الأيْد، والضابط عند الفقهاء: حكم كلي ينطبق على جزئياته(٣)، وهو ما انتظم صورا متشابهة في موضوع واحد غير ملتفت فيها إلى معنى جامع مؤثر(٤) والعلاقة بين القواعد والضوابط: الترادف أو مقاربته حيث إن القواعد: جمع قاعدة، والقاعدة في اللغة: أساس الشيء، سواء أكان هذا الشيء حسياً، كقواعد البيت، أو معنوياً، كقواعد الدين، وتعرف القاعدة في الاصطلاح بأنها

١- السياق القرآني وأثره في تفسير المدرسة العقلية-بتصرف يسير-للدكتور: سعيد الشهراني، صـ ٢٢،رسالة دكتوراه جامعة أم القرى في ٢٠٠٦

٢- راجع: نظرية السياق دراسة تأصيلية دلالية نقدية ، د/المثنى عبدالفتاح، صـ٥٣.

٣- المعجم الوسيط، المؤلف: إبراهيم مصطفى . أحمد الزيات . حامد عبد القادر- محمد النجار، ٥٣٣/١، مادة: ضبط.

٤ -معجم لغة الفقهاء، جمع: محمد قلعجي، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع ،ط:٢، في: ١٤٠٨ هـ وانظر: القواعد الفقهية، يعقوب بن عبدالوهاب ، صـ٦٧.

قضية كلية منطبقة على جميع جزئياتها(١)، وهي بهذا الاصطلاح بمعنى الضابط عند النحاة، فهم يعرفون الضابط بأنه: الحكم المنطبق على جميع جزئياته كقولهم: الفاعل مرفوع، والمفعول به منصوب، وأما الفقهاء فإنهم يستعملون القاعدة مرة بمعنى يرادف الضابط كتعريفهم للقاعدة والضابط بأنه" أمر كلي ينطبق على جزئياته لتعرف أحكامها منه"(٢) ومرة بتعبير أخص من القاعدة؛ ويفرقون بينها وبين الضابط: بأن القاعدة تجمع فروعاً من أبواب شتى، والضابط يجمعها من باب واحد (٣)، وعلى كلٍ فالخلاف يسير، ولعله في المصطلحات فحسب، والمؤدّى واحد، والأولى: القول بالترادف أو التقارب الذي يكاد يترادف، ولا مشاحة في الاصطلاح.

<u>المعتدلين</u>: مفهوم الاعتدال لغة: جاء في القاموس المحيط: العدل: ضد الجور، وما قام في النفس أنه مستقيم، وعدّل الحكم تعديلا: أقامه، وعدّل فلانا: زكّاه، وعدل الميزان: سواه، والاعتدال توسط حال بين حالين في كم أو كيف، وكل ما تناسب فقد اعتدل، وكل ما أقمته فقد عدَلته وعدّلته، والعدول: هم الخيار(٤) وذكر صاحب القاموس من معاني

---

١ – التعريفات للجرجاني ص ١٨٠.

٢ – انظر: شرح الكوكب المنير، تقي الدين المعروف بابن النجار، ١/٣٠.

٣ – راجع: كتاب شرح القواعد الفقهية للشيخ أحمد بن محمد الزرقا، صـ ٣٣، وغمز عيون البصائر، أحمد بن محمد مكي الحموي ٣/٢.

٤ – انظر: القاموس المحيط (عدل) (٢ / ٥٩٤) بتصرف يسير

الاعتدال: الحكم بالعدل، والاستقامة، والتقويم، والتسوية، والمماثلة، والموازنة، والتزكية، والمساواة، والإنصاف، والتوسط(١)

أما اصطلاحا؛ فالاعتدال:هو التزام المنهج العدل الأقوم، والحق الذي هو وسط بين الغلو والتنطع، وبين التفريط والتقصير؛ فالاعتدال يرادف الوسطية التي ميز الله بها هذه الأمة قال الله تعالى:{ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا }(٢) وقد فسر الرسول-صلى الله عليه وسلم-هذا بقوله: (والوسط: العدل))(٣)، ولا يتحقق العدل إلا بالتزام الكتاب والسنة وسبيل المؤمنين، وأعني (بالمعتدلين) في هذا المصطلح: من التزموا في تفسيرهم لكتاب ربهم: الضوابط المسايرة للكتاب والسنة، والموافقة للغة القرآن، والملائمة للعقول الصحيحة المجردة عن الأهواء، والباحثة عن الحق المطلق تحت مظلة الشرع.

قراءات المغالين: عرف أهل اللغة (الغلو) بأنه: مجاوزة الحد، فقال ابن فارس: (غلو) الغين واللام والحرف المعتل أصل صحيح يدل على ارتفاع ومجاوزة قدر، يقال: غلا السعر يغلو غلاء، وذلك ارتفاعه، وغلا الرجل في الأمر غلوا، إذا جاوز حده، وغلا بسهمه غلوا إذا رمي به سهما

١- راجع: المرجع السابق ٢/٥٩٤ وما بعدها

٢ - سورة البقرة من الآية ١٤٣

٣ - أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى {كَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا} الحديث رقم (٤٤٨٧)، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر.

أقصى غايته(١) وقال الجوهري: وغلا في الأمر يغلو غلوا، أي جاوز فيه الحد(٢) وغلا في الدين والأمر، والأمر يغلو: جاوز حده(٣) وفي التنزيل:{لاَ تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُوا عَلَى اللهِ إِلاَّ الْحَقَّ }(٤)، وقد جاء النهي عن الغلو في القرآن صريحا؛ أي لا تجاوزوا حد الاعتدال(٥) وقد جعل الله الغلو في مقابلة الحق.

وفي الاصطلاح: الغلو في كل شيء: مجاوزة حده الذي هو حده، يقال منه في الدين غلا فهو يغلو غلوا(٦)، والغلو الإفراط ومجاوزة الحد ومنه غلا السعر، كما: الغلو: مجاوزة القدر في الظلم (٧)، وفي الفتح: الغلو: المبالغة في الشيء والتشديد فيه بتجاوز الحد(٨). وقد آثرت: لفظ قراءات دون تفسير لما أن هؤلاء المغالين لم يكن لهم منهج علمي واضح

---

١ – مقاييس اللغة، كتاب الغين، باب الغين واللام (٣٨٧/٤)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر بيروت

٢ – انظر: الصحاح مادة (غلا) (٢٤٤٨/٦)، دار العلم للملايين، بيروت–الطبعة الرابعة في ١٩٩٠م.

٣ – لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، مادة (غلا) ١٣١/١٥،

٤ – سورة النساء من الآية: ١٧١.

٥ – انظر: البحر المديد، أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة، ١٩٠/٢، دار الكتب العلمية . بيروت،ط:٢في ١٤٢٣ هـ

٦ – انظر: تفسير الطبري، أبوجعفر محمد بن جرير الطبري، المتوفي سنة ٣١٠ هـ، (٤٣/٦) دار الفكر للطباعة والنشر

٧ – انظر: زاد المسير، ابن الجوزي، ٢٦٠/٢.، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الاولى، في:١٤٠٧هـ

٨– انظر: فتح الباري، ابن حجر، (٤٦٥/٩)، دار المعرفة –بيروت الطبعة الثانية

في تفسيرهم لآيات القرآن، وإنما هي مجرد قراءات أملتها عليهم عقولهم المتفاوتة، وأشربتها نفوسهم المضطربة، ولم يتفقوا عليها فيما بينهم، بل كانوا كقطيع من الأغنام بلا راع، في واد مظلم بلا حدود.

الفصل الأول: ظاهرة السياق القرآني بين القدامى والمحدثين؛ تأصيل وتبيين (الجانب النظري)، وفيه:

المبحث الأول: حجية السياق القرآني بين الإمكان والوقوع والإلزام

المبحث الثاني: أركان السياق القرآني وعناصره وأنواعه

المبحث الثالث: أهمية السياق القرآني

المبحث الأول: حجية السياق القرآني بين الإمكان والوقوع والإلزام

يتوقف قبول المسائل على بيان مدى إمكانها عقلا، ووقوعها فعلا، لتتأكد حجيتها لزوما، ومن المعلوم لدى أهل العقول عامة، وأهل الملة منهم خاصة؛ أن المسائل المتعلقة بالدين يتأتى قبولها والعمل بمقتضاها عند بيان حجيتها، والسياق القرآني من المسائل الضرورية لبيان القرآن؛ الضامن للسعادة في الدنيا والآخرة؛ فهل وجوده ممكن عقلا وواقع فعلا، وإذا أمكن وجوده، وثبت وقوعه، فهل يدل ذلك على لزوم اتباعه؟، والسياق من الأصول المعتمدة عند المفسرين لبيان كلام الله؛ رب العالمين؛ فكيف تتأتى حجية السياق في التفسير، وما كيفية التأسيس والتأصيل لها؟.

السياق: أصل معتبر في بيان المعنى في ألفاظ القرآن وآياته وسوره، وأنه لا يتعارض مع الأصول البيانية الأخرى بل يحدد قوتها وتقدمها، قال ابن دقيق العيد-رحمه الله:" وَيَجِبُ اعْتِبَارُ مَا دَلَّ عَلَيْهِ السِّيَاقُ وَالْقَرَائِنُ، لِأَنَّ بِذَلِكَ يَتَبَيَّنُ مَقْصُودُ الْكَلَامِ"(١)، ومع العناية الفائقة بالسياق والتي لازمت القرآن الكريم منذ نزوله إلا أن البعض لا يعد السياق من القرائن التي يحتج بها معللا ذلك بأنها قرينة ذوقية خاضعة لصاحبها؛ فهي غير منضبطة بضوابط محددة فـ" لم يعتبرها، وردها لأمور:

١- صعوبة إقامة الدليل على حجيتها.

٢- أنها دلالة مفهوم.

١- البحر المحيط في أصول الفقه للزركشي، ٣٢/٤ .

٣- التحرز والاحتياط"(١)، والجمهور على خلاف ذلك، والأدلة النقلية والعقلية تشهد لهم.

أولا: بيان إمكانية وجود السياق ووقوعه بين ألفاظ القرآن وآياته وسوره:

قد ثبت أن هذا المنهج صالح في ذاته، وذلك لأنه لا يتعارض مع المنقول الصحيح أو المعقول الصريح؛ أما عدم تعارضه مع المنقول فلأنه قد ثبت استعمال القرآن الكريم والرسول-صلى الله عليه وسلم- له، وأيضا قد استعمله الصحابة والتابعون والعلماء من بعدهم، وأما عدم معارضته للمعقول؛ فلأنه منهج بضوابط محددة للفهم والبيان لا تناقضه العقول السليمة بل تؤيده وتعاضده؛ ولا يترتب على فرض وقوعه محال، وهو عين الممكن، وتحقيق ذلك وتطبيقه فيما يأتي من أمثلة.

ثانيا: الأدلة النقلية والنظرية على حجية السياق القرآني :

١- الأدلة النقلية لحجية السياق القرآني، وتتأتى هذه الأدلة بطرق منها:

أ- استعمال القرآن الكريم للسياق بين ألفاظه وآياته وسوره، وبيان ذلك: أن اللفظ في الآية قد يخفى؛ فيستبين أمره بالسياق ، كما قد يخفى معنى الآية؛ فيأتي السياق ليزيل هذا الخفاء، ومن ذلك: لفظ

١- انظر: مفهوم دلالة السياق عند الأصوليين دراسة نظرية تطبيقية ، ١٣٨-١٤٠، سعد بن مقبل بن عيسى العنزي رسالة ماجستير- غير مطبوعة -١٤٢٨هـ ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية -جامعة أم القرى- السعودية

{الإحصان}في قول الله تعالى{فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنْ الْعَذَابِ}(١)؛ فقد اختلف المفسرون في المراد به فبعضهم يرى أنه الإسلام، بينما يراه البعض بمعنى الزواج، ويأتي السياق ليرجح أحد الاحتمالين، وقد ذكر ابن كثير –رحمه الله– القولين في المراد بالإحصان؛ الإسلام أو الزواج، وأورد من نُسب إليه كل قول، وردّ حديثا في معنى الإحصان هنا بالإسلام لضعفه، ورجح القول الثاني بالسياق فقال ما نصه:" والأظهر– والله أعلم، أن المراد بالإحصان ها هنا التزويج؛ لأن سياق الآية يدل عليه حيث يقول تعالى:{وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ}، والله أعلم. والآية الكريمة سياقها في الفتيات المؤمنات، فتعين أن المراد بقوله: {فَإِذَا أُحْصِنَّ} أي تزوجن كما فسره ابن عباس وغيره(٢)

ب– دعوة القرآن الكريم إلى النظر والتدبر في جميع آياته للوصول إلى الحق. قال تعالى { كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ }(٣) وقال سبحانه{أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً}(٤) وفي الآيات مجمل ومفصل ومحكم ومتشابه ومشكل ومبين وواضح ومشترك، وهذا يدل على كمال صدق القرآن في

– ١ سورة النساء من الآية ٢٥

– ٢ تفسير القرآن العظيم لابن كثير، جـ ٢ –صـ ٢٦٢/٢٦١ باختصار

٣ – سورة ص الآية ٢٩

٤ – سورة النساء الآية ٨٢

عدم التعارض بين آياته وأن بعضها يحمل على بعض، ويبين بعضها بعضا، وأن القرآن كله نص واحد، وهو جوهر السياق القرآني

جـ- التنوع المناسب بين ختام الآيات ومضمونها.، والمتأمل في علاقة كل آية بختامها يجد العلاقة الوطيدة والمناسبة الواضحة؛ مقالا ومقاما، وفي ذلك: الدلالة الواضحة على أن لكل آية ختام يناسبها، ويتجلى ذلك في جميع آيات القرآن الكريم، وهل مفهوم السياق القرآني إلا هذا؟(١) ومن ذلك قول الله تعالى{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ}(٢) وقوله{فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ}(٣) ولما كان الحديث في الآية الأولى عن بعثة الرسل، وأن كل ما جاءوا به من عند الله حق ناسب أن يختم بأن كل من كذبهم فهو على باطل، وأما ختام الآية الثانية؛ فجاء أيضا مناسبا لموضوعها، لأن الحديث عن الكافرين، والكفر ضد الإيمان.

د- قد ثبت استعمال النبي-صلى الله عليه وسلم-للسياق مما يدل على أصالته، وهو كثير ومنه: قوله-لعائشة-رضي الله عنها-حين سألته عن معنى قول الله-تعالى{ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى

---

١ - راجع: مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع-رسالة في العلاقات بين مطالع سور القرآن وخواتيمها، تأليف: الحافظ جلال الدين السيوطي-ت:٩١١هـ،

٢- سورة غافر من الآية ٧٨

٣ - سورة غافر من الآية ٨٠

رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ }(١) فقالت: هم الذين يشربون الخمر ويسرقون؟ فقال-لا يا بنت الصديق ولكنهم الذين يصلون، ويصومون، ويتصدقون وهم يخافون ألا يقبل منهم{ أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ}(٢) (٣).، واستعمال النبي للسياق قد أكسبه الحجية الواضحة

هـ- ومن دلائل الحجية: استعمال الصحابة-رضي الله عنهم- للسياق بوجهيه: المقالي والمقامي.، ومن ذلك ما رواه الطبري بسنده أن رجلا قال لعلي بن أبي طالب-رضي الله عنه-يا أمير المؤمنين أرأيت قول الله-تعالى {ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا}(٤)، وهم يقاتلوننا فيظهرون ويقتلون؟ قال له عليّ: أَدنه أُدنه، ثم قال: {فالله يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا}(٥) يوم القيامة(٦) ؛فواضح أن عليَّ-رضي الله عنه- قد استعمل السياق لإفهام

---

١ – سورة المؤمنون الآية ٦٠

٢ – السورة السابقة من الآية ٦١

٣ – أخرجه الترمذي في سننه كتاب التفسير باب ومن سورة المؤمنون ح: ٣١٧٥،٣، ٣٥٠/، ولم يعلق عليه إلا أنه قال: وقد روي هذا الحديث عن عبد الرحمن بن سعيد عن أبي حازم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم نحو هذا، (الجامع الصحيح سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، مراجعة: أحمد محمد شاكر وآخرون) ، وقال الحاكم بعد أن أخرجه برقم : ٣٤٨٦:هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه، وعلق الذهبي-رحمه الله عليه بقوله: صحيح.(المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري، ٤٢٧/٢، مع الكتاب: تعليقات الذهبي في التلخيص)

٤ – سورة النساء من الآية ١٤١

٥ – سورة النساء من الآية ١٤١

٦ – جامع البيان ٤٣٣/١

السائل أن إنفاذ الوعد الوارد في الآية إنما هو يوم القيامة كما في سياق الآية.

ومن أقوال العلماء في بيان مكانة السياق وحجيته:

***- قول عمر-رضي الله عنه: إن هذا القرآن كلام الله فضعوه على مواضعه، ولا تتبعوا فيه أهواءكم"(١)**

***- بين الشافعي-رحمه الله-أن معرفة السياق والوقوف على دروبه من سنن العرب في كلامها؛ فقال:" وتبتدئ العرب من كلامها يبين أول لفظها عن آخره ونبتدئ الشيء يبين آخر لفظها منه عن أوله"(٢)**

***- جعل الشاطبي-رحمه الله- طريق الفهم هو السياق فقال: فلا محيص للمتفهم عن رد آخر الكلام على أوله، وأوله على آخره وإذ ذاك يحصل مقصود الشارع في فهم المكلف فإن فرق النظر في أجزائه فلا يتوصل به إلى مراده ولا يصح الاقتصار في النظر على بعض أجزاء الكلام دون بعض"(٣)**

***- جعل ابن جزي-رحمه الله-السياق من القرائن المعينة على ترجيح بعض الأقوال في التفسير على بعض فقال عند حديثة عن**

---

١ - كنز العمال للمتقي الهندي ،باب: في القرآن ، فصل في حقوق القرآن، رقم ٤١٥٦، وقال: أخرجه أحمد في الزهد، والبيهقي في الأسماء والصفات (كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت ١٩٨٩ م ، وذكره السيوطي في الدر ٣٣٠/٧، دار الفكر - بيروت ، ١٩٩٣

٢ - الرسالة للإمام الشافعي، ٤٧/١.

٣ - الموافقات للشاطبي، ٤١٣/٣.

المرجحات:" أن يشهد بصحة القول سياق الكلام، ويدل عليه ما قبله أو ما بعده"(١)

***- عده الزركشي-رحمه الله-إحدى الطرق الرئيسية لبيان القرآن؛ فقال: وطريق التوصل إلى فهمه: النظر إلى مفردات الألفاظ من لغة العرب، ومدلولاتها، واستعمالها بحسب السياق"(٢)**

٢- الأدلة النظرية على حجية السياق القرآني:

وهي الأدلة القائمة على النظر والاستدلال الناتج عن إعمال العقل في الحجية، ومنها:

أ- القرآن الكريم باعتباره أعظم النصوص تماسكا وترابطا، وهو موحد المصدر؛ فمصدره هو الله وحده، مما يقتضي عقلا حمله على الاتصال وليس الانقطاع

ب- ضرورة ضم آيات القرآن بعضها إلى بعض؛ إذ ليس بعض ذلك أولى بالاتباع من بعض، ومن فعل غير هذا فقد تحكم بلا دليل(٣)

جـ- ما من شك أن الناس متفاوتة أفكارهم وأحوالهم، والقرآن الكريم كتاب الهداية الأخير؛ فهو المنوط به إصلاح حياة الناس إلى يوم الدين، لذا كان لزاما مراعاة الأحوال والقرائن المبينة لنص الهداية؛ القرآن الكريم .

---

١ - التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي الكلبي١/١٣.

٢ - البرهان في علوم القرآن للزركشي، ٢/١٧٢.

٣ - انظر: الإحكام في أصول الأحكام، المؤلف: علي بن أحمد بن حزم الأندلسي أبو محمد،٣/٣٧٣.

د- الإجماع: وهو حجة شرعية في ذاته، قال أبو يعلى-رحمه الله: الإجماع حجة مقطوع عليها، يجب المصير إليه، وتحرم مخالفته، ولا يجوز أن تجتمع الأمة على ضلالة"(١)، كما أنه حجة على غيره، وقد اتفق أهل العلم على أن الإجماع حجة شرعية يجب اتباعها والمصير إليها"(٢)، وقد أجمع العلماء سلفا وخلفا على الاعتداد بالسياق واعتباره في مجاري كلام الله تعالى- وكلام العرب، وإن تفاوتوا في القدر والكيفية، وممن حكى الاتفاق على ذلك: الزركشي-رحمه الله (٣)

وعود على بدء؛ فقد تبين من خلال الجانب التنظيري والتطبيقي لأدلة حجية السياق القرآني:

١- أن السياق بحجيته أمر ممكن الوقوع، فلا يترتب على فرض وقوعه محال؛ فوجود أدلة الإثبات على حجية السياق أمر ممكن لا ترفضه العقول المتحررة، كما أنه لا يتعارض مع ثوابت الشرع، وما كان كذلك فهو في حيز الممكنات

٢-هذه الأدلة أمكن وجودها، وتناولها العلماء سلفا وخلفا، وقد تلقوها-لسلامتها من المعارضة- وحجيتها بالقبول.

---

١ - العدة في أصول الفقه ١ /١٠٥٨، للقاضي أبي يعلى بتصرف يسير

٢ - انظر: البرهان للزركشي ٣/٢٨٤.

٣ - انظر: البحر المحيط في أصول الفقه للزركشي، ٤/٣٥٧.

المبحث الثاني: أركان السياق القرآني وأقسامه وأنواعه

أولا: أركان السياق القرآني: مصطلح الركن: جاء في مقاييس اللغة: رُكن الشَّيء: جانبه الأقوى (١)، ولم يختلف الأمر في مصطلح الأصوليين والفقهاء وغيرهم؛ فهو عندهم: مَا لا وُجُودَ لِذَلِكَ الشَّيْءِ إلا بِهِ وَأَنَّهُ يُطْلَقُ عَلَى جُزْءٍ مِنْ الْمَاهِيَّةِ، وَيُطْلَقُ عَلَى جَمِيعِهَا(٢)، أما المصطلحان الآخران؛ القسم، والنوع؛ فالجامع بينهما: أنهما كليات يندرج تحت كل منهما جزئيات.

و" الجزئيات المندرجة تحت الكلي إما أن يكون تباينها بالذاتيات أو بالعرضيات أو بهما، والأول يسمى أنواعا والثاني أصنافا والثالث أقساما"(٣) ويبدو لأول وهلة أن التقاسيم والأنواع بينها تقارب من الوجهة اللغوية، أما من الناحية الاصطلاحية التطبيقية؛ فالغالب: أن القسم أشمل من النوع فهو مرادف للجنس عند البعض(٤)، والباحث في السياق على وجه العموم، وفي السياق القرآني على وجه الخصوص يرى أن العلماء لم يتوافقوا على تحديد أركان السياق؛ فبعضهم قد حددها بالسابق واللاحق

---

١ – مقاييس اللغة لابن فارس ٣٥٦/٢، تحقيق: عبدالسلام هارون

٢ – كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام؛ البزدوي، علاء الدين عبد العزيز بن أحمد البخاري،جـ٣ صـ١١٩.

٣ – التعريفات، المؤلف: علي بن محمد بن علي الجرجاني، ٢٢٤/١، الناشر: دار الكتاب العربي

٤ – راجع: مقدمة صحيح ابن حبان لمحققه شعيب الأرناؤوط؛ حيث أورد أن ابن حبان فرع الأنواع عن التقسيم ٨٦/١ وما بعدها

واللفظ، والبعض أسماها عناصر، والبعض جعلها أقساما للسياق(١) وأجدني أميل إلى التفرقة بين هذه المصطلحات الركن الأول: المتكلم، والمتكلِّم في السياق القرآني: هو الله تعالى. ومما يتعلق بهذا الركن تعلقا لا ينفك عنه: مراعاة حال المتكلم، وهو أن كلامه-سبحانه مقدسا، ولا يعتريه التحريف، وأنه منزه عن أقوال البشر فلا يخضع للنقد لكماله المطلق، وأن لله تعالى من كلامه أغراضا يريد إيصالها للمكلفين

الركن الثاني: المستمع، وهو المكلف بهذا الكلام، ويتعلق به أمور منها: مراعاة حال المخاطب من لغته، ومعهود كلامه، وقرائن فهمه، وتلقيه للخطاب بمضامينه اللغوية والمقامية. وتختلف دلالة الكلام تارة بحسب اللفظ، وتارة بحسب التأليف، وكثير من وجوه الاختلاف؛ فقد لا يبين بنفس اللفظ بل يرجع فيه إلى مقصد المتكلم، وقد يظهر قصده بدلالة الحال (٢)

الركن الثالث: النص القرآني (لفظة- أية- آيات "مقطع"- القرآن كله)، وهو محل بحث وبيان بما قبله وبما بعده، ويقتضي هذا: دراسة بنية

---

١ – تناول الباحثون المعاصرون في بحوثهم : أركان السياق إلا أنهم لم يتفقوا عليها؛ فذهب بعضهم إلى أنها : السباق واللحاق واللفظ (أثر دلالة السياق في المتشابه اللفظي في القصص القرآني ، صـ ٧٠ وما بعدها) بينما جعل صاحب رسالة دلالة السياق وأثرها في توجيه المتشابه اللفظي من خلال قصة موسى عليه السلام أركان السياق خمسة : ١-الغرض من الكلام ٢-معرفة حال المتكلم ٣-معرفة حال السامع ٤-معرفة حال المتكلم عنه ٥-أفاظ الخطاب ودلالات تراكيبه (فهد الشتوي٣٠-٣٨)

٢ – انظر دلالة السياق وأثرها في دلالة المتشابه اللفظي في قصة موسى عليه السلام ، صـ٣٨

اللفظ، وعلاقته بالمعنى، وكذا دراسة اللفظ بانضمامه إلى ما يبينه من سابق أو لاحق، وهذا يقتضي: فهم ودراسة علوم متعددة خادمة لمقال النص ومقامه كعلم القراءات وعلوم اللسان كأصول اللغة واللغويات، وعلوم القرآن كأسباب النزول وعلم المناسبة وأصول الفقه وغير ذلك

ثانيا: عناصر: السياق القرآني: يحتوي السياق القرآني من حيث اللفظ والمعنى على عنصرين:

١- سياق المقال؛ ما لا يتجاوز الآية المراد بيانها بسابقها ولاحقها، وهو كما عبر عنه صاحب نظرية السياق: مجموع النص الذي يحيط بالجملة المراد فهمها" ويعبر عنه بألفاظ متنوعة منها: السياق اللفظي- السياق اللغوي-السياق الداخلي.

٢- سياق المقام، وهو ما يحيط بالنص من بيئة تفاعلية بين المتكلم والمخاطب، وقد عرفه صاحب نظرية السياق بقوله: هو ما ينتظم القرائن المقامية التي تفسر الغرض الذي جاء النص لإفادته سواء كانت قرائن في الخطاب ذاته أو في المتكلم أو في المخاطب أو في الجميع" (١)، ويعبرعنه بألفاظ متنوعة منها: السياق المعنوي- السياق الخارجي- سياق الموقف- سياق الحال.

ثالثا: أنواع السياق القرآني، لما كان السياق القرآني مرتبطا بكتاب الله الخالد؛ القرآن كان متفردا عن كل سياق، وجاءت أنواعه مترابطة متكاملة يأخذ بعضها بحذو بعض في صورة واضحة لا لبس فيها ولا التواء

---

١ - نظرية السياق، نجم الدين قادر كريم الزنكي ، صـ٦٣.

خدمة لآيات القرآن الكريم. والسياق القرآني يختلف عن أي سياق آخر، ذلك أنه مكون من أربعة دوائر من السياق بعضها داخل في بعض ومبني عليه. وهذا من أعظم ما يتميز به القرآن العظيم، بل هو من مظاهر إعجازه وبلاغته. وذلك أنه ينقسم إلى أربعة أنواع: الأول: سياق القرآن كله؛ وهو الذي يشكل وحدة عضوية متكاملة متتامة لا تفكك بينها ولا تجزء، النوع الثاني: سياق السورة؛ والذي يجمع الملامح العامة للسورة القرآنية، النوع الثالث: سياق النص أو المقطع أو الآيات؛ هو الذي يشكل محورا رئيسيا من محاور السورة بملامح واضحة تعين على المراد. الرابع: سياق الآية؛ وهو اللبنة الأولى في صرح السياق، والذي تنطلق من خلاله بقية الأنواع، وهذه الأنواع لا يمكن دراستها منفصلة، بل لابد من نظرة متكاملة للأنواع مجتمعة، للوصول إلى مسلَّمة البيان والترجيح لآيات القرآن الكريم، وقد حقق هذا التنوع في سياق القرآن: الدكتور عبدالوهاب ابو صفية الحارثي في نظريته السياقية (١).

١ –راجع: دلالة السياق منهج مأمول لتفسير القرآن الكريم لعبد الوهاب أبو صفية الحارثي:. (ص،)٨٨.

المبحث الثالث: أهمية السياق القرآني

تفطن العلماء -مبكرا- إلى دور السياق في فهم النص ودلالته على المعنى المراد، وكذلك اعتباره في الترجيح بين المعاني، وصاغوا عبارات تدل على مكانة السياق باعتباره من أقوى الأدوات والقرائن التي تعين على كشف المراد، وبخاصة إذا كان النص هو القرآن، وتتأنى أهمية السياق في اعتبارات كثيرة أذكر بعضا منها في صورة عناصر موجزة؛ نظرا لضيق المقام:

١- أنه منهج قرآني؛ فهو لون من ألوان تفسير القرآن بالقرآن، كما أنه مسلك نبوي؛ وارد في تفسير النبي- صلى الله عليه وسلم- والسلف الصالح من بعده(١)

٢- من الأصول التفسيرية المتفق عليها، قال الزركشي: "دلالة السياق انكرها بعضهم، ومن جهل شيئا انكره، وقال بعضهم: أنها متفق عليها في مجاري كلام الله تعالى"(٢)

٣- السياق أصل يستند عليه في بيان المعاني، والمقاصد، و"غير جائز صرف الكلام عما هو في سياقه إلى غيره، إلا بحجة يجب التسليم لها من دلالة ظاهر التنزيل، أو خبر عن الرسول تقوم به حَجَّة، فأما الدَّعاوى، فلا تتعذر على أحد.(٣)

١- وقد ذكرت نماذج لذلك عند الحديث عن حجية السياق

٢- البحر المحيط في أصول الفقه ٣٥٧/٤ ، المحقق : محمد تامر

٣ -جامع البيان ٣٥٦/٤.

٤- تقديمه على غيره من القرائن المعينة على البيان والترجيح ، قال الزركشي:" ليكن محط نظر المفسر مراعاة نظم الكلام الذي سيق له، وإن خالف أصل الوضع اللغوي لثبوت التجوز(١)

٥- طريق مأمون لتفسير وبيان الغامض والمطلق والمشكل والمجمل.. من كتاب الله-تعالى؛ إمّا بيانا لمجمل متصل كقوله {وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ}(٢)؛ فقوله {من الفجر} بيان لما سبق من الزمن المجمل، أو منفصل كقوله تعالى {أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ}(٣) بُينت في قوله{حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ}(٤).أو تقييدا لمطلق، كقوله تعالى {إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا لن تقبل توبتهم} ، فعدم قبول التوبة هنا ، مقيد بحضور الموت" لأنهم لا يتوبون إلا عند حضور الموت وتلك التوبة لا تقبل"٥، لقوله تعالى {حتى إذا جاء أحدهم الموت قال إني تبت الآن}(٦)، أو تخصيصا لعام، كقوله تعالى{فانكحوا ما طاب لكم

١- البرهان في علوم القرآن ٣١٧/١، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة :١،: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي

٢ – سورة البقرة من الآية ١٨٧

٣ –سورة المائدة من الآية ١

سورة المائدة من الآية ٣

٥ – الوجيز للواحدي ٢٢٢/١

٦ – سورة النساء من الآية ١٨

من النساء }([1])؛ فقد خصصت بقوله سبحانه {حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ ..}([2]) الآية .

٧- أنه من أقوى القرائن المرشدة والدالة على الترجيح بين الدلالات التفسيرية،" وإذا احتمل الكلام معنيين، وكان حمله على أحدهما أوضح وأشد موافقة للسياق كان الحمل عليه أولى(٣)، فـ"إن أفضل قرينة تقوم على حقيقة معنى اللفظ: موافقته لما سبق له من القول، واتفاقه مع جملة المعنى وائتلافه مع القصد الذي جاء به الكتاب جملة(٤).

٨- هجر السياق أو هدره من أقوى الأسباب المؤدية إلى الخطأ في الفهم، وهذا ما أكده صاحب البرهان بقوله: "وهو(٥) من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم، فمن أهمله غلط في نظيره وغالط في مناظراته(٦)

---

[1] - سورة النساء من الآية ١٨

[2] - سورة النساء من الآية ٢٣

-٣ "الإشارة إلى الإيجاز في أنواع المجاز"، الشيخ العز بن عبد السلام، ص:٢٢٠، ط: دار الحديث، القاهرة.

-٤ الشيخ رشيد رضا: "تفسير المنار"، ٢٢/١.، الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: ١٩٩٠ م

٥ - أي: السياق

٦- البرهان ٢٠٠/٢

الفصل الثاني: إعمال السياق القرآني؛ مجالات ومآلات بين الانضباط والانفلات

المبحث الأول: مجالات ومآلات استعمال السياق عند المعتدلين

المبحث الثاني: مجالات ومآلات استعمال السياق عند المخالفين

توطئة: مما لا شك فيه أن العلاقة بين النص والمتلقي له لابد لها من ضوابط تكون ضامنه لوصول مراد المتكلم إلى فهم المتلقي، والقرآن الكريم نص إلهي مقدس يراد منه إيصال مراد الله تعالى-إلى المتلقين، وهنا تطفو أسئلة لا بد من الجواب عنها؛ منها: ما مدى نظرة المتلقي للقرآن الكريم؛ هل هو نص مقدس أم لا؟، وهل لفهم المتلقي للنص القرآني من حدود؟ وما مدى التعامل مع مرتكزات الفهم عند المتلقين؟

من أساسيات الفهم الصحيح للآيات القرآنية بسياق معتدل:

***- الإقرار بقداسة القرآن الكريم، وإلهية مصدره، وعدم محاكمته باعتباره نصا بشريا قابلا للنقد كما فعل الحداثيون من البنيويين بجعلهم المتكلم هو اللغة ذاتها، والتفكيكيين في هدمهم سلطة القائل أو موته**

***- الرجوع إلى الينابيع الصحيحة لفهم آيات القرآن وعلى رأسها: مقتضيات الشرع ومشهور اللغة وسياق النص.**

***- التأكيد على محدودية العقل في فهم النص القرآني، وأن تجاهل العقل، وإعطائه مطلق الحرية في فهم النص كلاهما شر مستطير، وأن الأصل: التوافق بين ما يثبته النص الصحيح وبين ما ينتجه العقل الصريح. والاجابة عن الأسئلة السابقة وما شابهها، وإعمال أسياسيات الفهم الصحيح للآيات القرآنية بسياق معتدل هو مهمة البحوث الآتية، ومن خلال ذلك يتبين الحق من الباطل من المذاهب المعرفية حول فهم آيات القرآن الكريم من خلال السياق القرآني**

المبحث الأول: مجالات ومآلات السياق القرآني عند المعتدلين:

المطلب الأول: مجالات السياق القرآني عند المعتدلين :

لما كان من العسير فهم النص بمنأى عن سياقه؛ لذا تعددت مجالات السياق القرآني لبيان النص والترجيح به، وكان من أكثر المجالات التي تأكد فيها دور السياق:

*- البحث عن دلالات الألفاظ في المواضع المتشابهة؛ لتفادي ما يترتب عن تجريد النص من سياقه من إشكالات

*- البحث عن أسباب نزول الآيات، وبيان وجه المناسبة بين النصوص، وعلى الجملة ما يكتنف النص من عوامل.

*- البحث عن الآثار الواردة في بيان النص القرآني

*- التأكيد على إدراك فهم النصوص الشرعية، وذلك لما يترتب عليها من آثار في فهم الأحكام، وتوجيهها والكشف عن معانيها بدقة، ووضعها في الإطار الذي جاءت فيه .

*- حل الإشكالات التي قد تنشأ عند تجريد النصوص من سياقها، وخاصة عندما يلاحظ التعارض بينها. ومن خلال قراءاتي المتأنية لما كتب عن السياق في القديم والحديث يمكن إجمال مجالاته في نوعين رئيسين يتفرع عنهما أنواع فرعية متعددة

النوع الأول البيان: مما تجدر الإشارة إليه أن الوقوف على المعنى الأصلي للفظ، وكذا استعمالاته في العربية لا يكفي لفهمه ودلالته على المراد ما لم يستعان على ذلك بسياق اللفظ الداخلي والخارجي لتحديد معناه، ونظرا لأن هذا النوع هو الأساس، والمجال الأول للسياق التفسيري

لذا سأجعله في مسائل، ولا أعنى حصر مجالات البيان السياقي في هذه المسائل، وإنما هذا على سبيل التمثيل والاستشهاد:

المسألة الأولى: مجال السياق القرآني في بيان اللفظ أو الآية الواحدة:

لا يخفى على كل ذي عينين أن من الأولويات الواجب على المفسر معرفتها: الوقوف على معنى الكلمة القرآنية وبيان مدلولها، وفي ذلك يقول الراغب -رحمه الله- في مفرداته: أول ما يحتاج أن يشغل به من علوم القرآن: العلوم اللفظية، ومن العلوم اللفظية: تحقيق الألفاظ المفردة؛ فتحصيل معاني مفردات ألفاظ القرآن في كونه من أوائل المعاون لمن يريد أن يدرك معانيه كتحصيل اللبن في كونه من أول المعاون في بناء ما يريد أن يبنيه(١)

وقد اعتمد المفسرون على السياق القرآني في بيان معنى الآية وتحديد مدلولها، وأذكر لذلك نموذجا -زيادة على ما سبق:

نموذج حاكم: معنى إصلاح زوج زكريا -عليه السلام-: للولادة بعد عُقمها، أو بتحسين خلْقها، قال -الله تعالى {وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ}(٢) وقد تعددت أقوال المفسرين في معنى الاصلاح هنا؛ فبعضهم يرى أن الله اصلحها للولادة بأن أزال عنها المانع بالعادة، أو أنه أصلحها في أخلاقها، وقد كانت على طريقة من سوء الخلق وسلاطه اللسان تؤذيه، وجعل ذلك

١ مفردات غريب القرآن للراغب الاصفهاني ٤/١، دار النشر / دار القلم . دمشق.
٢ سورة الأنبياء من الآية ٩١.

من نعمه عليه، أو أنه اصلحها في خلقها، أو أنه جعلها مصلحة في الدين داعية إليه. وقد ذكر بعض المفسرين هذه الاقوال ولم يرجحوا قولا على آخر، مدللين أن الآية تحتملها جميعا، ومن هؤلاء الإمام ابن جرير الطبري؛ فقد قال بعد أن ذكر الاقوال الواردة في الآية وعزاها إلى أصحابها: "والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله أصلح لزكريا زوجه، كما اخبر -تعالى ذكره- بان جعلها ولودا حسنة الخُلق، لأن كل ذلك في معاني إصلاحه إياها، ولم يخصص الله جلّ ثناؤه بذلك بعضا دون بعض في كتابه، ولا على لسان رسوله، ولا وضع ،على خصوص ذلك دلالة، فهو على العموم ما لم يأت ما يجب التسليم له بان ذلك مراد به بعض دون بعض(١) وأورد الرازي-رحمه الله- جانبا من هذه الاقوال وذكر أن الأليق بمقام السياق: أن الإصلاح في الاستعداد للولادة، وأن الاظهر أن الاصلاح في الدين اذ هو المتبادر عند الاطلاق وفي هذا يقول: وفي تفسير قوله

{وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ } ثلاثة أقوال: أحدها: أصلحها للولادة بأن أزال عنها المانع بالعادة، وهذا أليق بالقصة. والثاني: أنه أصلحها في اخلاقها وقد كانت على طريقة من سوء الخلق وسلاطة اللسان تؤذيه وجعل ذلك من نعمه عليه. والثالث: أنه سبحانه جعلها مصلحة في الدين من أكبر أعوانه في كونه داعياً إلى الله تعالى فكأنه-عليه السلام- سأل ربه المعونة على الدين والدنيا بالولد والاهل جميعا وهذا كأنه أقرب إلى الظاهر لأنه إذا قيل: أصلح الله فلانا فالأظهر فيه ما يتصل بالدين(٢) وذكر

١ تفسير الطبري ٥٢١/١٨.

٢ – مفاتيح الغيب(التفسير الكبير)، فخر الدين الرازي،١٨٨/٢٢.

القرطبي- رحمه الله- المعنيين الاولين ومال إلى الجمع بينهما فقال: قلت: ويحتمل أن تكون جمعت المعنيين فجعلت حسنة الخلق ولودا(١)، وكذا ذكر أبو السعود في تفسيره حيث قال: أي أصلحناها للولادة بعد عُقْرها أو اصلحناها للمعاشرة بتحسين خلقها وكانت حَردةٌ(٢)، وذكر ابن كثير جل هذه الاقوال ورجح الأول مستدلا لذلك بسياق الآية فقال: والاظهر من السياق الأول.(٣)، أقول-والله أعلم- ما ذهب إليه ابن كثير-ومن نحا نحوه-فيه إعمال لسياق الآية، وهو ما أراه راجحا، وإن كان هذا لا يمنع الأقوال الأخرى لاحتمال الآية لها.

<u>المسألة الثانية: مجال السياق القرآني في بيان وتحديد المخاطب أو الموصوف:</u>

معرفة وتحديد المتكلم أو المخاطب أو الموصوف أو من نزلت فيه الآية، مما يعين على بيان الآية وتوضيح مدلولها، ولا شك أن هذا البيان من أهم مجالات السياق في الآية أو الآيات ومن اقوى الادوات المعينة على تلك المعرفة،

---

١ تفسير القرطبي ٣٣٦/١١.

٢ تفسير ابي السعود ٥٣٤/٣، ط: دار الفكر.

جاء في لسان العرب في معنى الحَرْدُ: الجد والقصد حَرَدَ يَحْرد بالكسر حَرْداً قَصد وفي التنزيل و{غدوا على حرد قادرين} والحَرْدُ المنع وقد فسرت الآية على هذا وحَردَّ الشيء منعه، والحَرْدُ المنع والحَرْدُ الغيظ والغضب) لسان العرب مادة حرد ١٤٤/٣ باختصار

٣ تفسير ابن كثير ٣٧٠/٥، بتحقيق: سامي بن محمد سلامة.

نموذج حاكم؛ قال الله تعالى {إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ}(١) اختلف المفسرون في تحديد المخاطبين والموصوفين ومن نزلت فيهم الآية، وقد جمع الماوردي- رحمه الله- الاقوال الواردة في الآية فقال: قوله عز وجل: {إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ} فيه قولان: أحدهما: إن تتنصروا الله، فالفتح النصر، فقد جاءكم فضل الله بنصرنا، حكاه ابن الانباري. والثاني: معناه إن تستنصروا الله، والفتح النصر، فقد جاءكم نصر الله لنا عليكم، وفي هذا الخطاب قولان: أحدهما: أنه خطاب للمشركين لانهم استنصروا يوم بدر بأن قالوا: اللهم اقطعنا للرحم واظلمنا لصاحبه فانصره عليه، فنصر الله تعالى نبيه والمسلمين عليهم، ثم قال:{وَإِن تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيرٌ لَّكُمْ}لان الاستنصار كان عليهم لا لهم{وَإِن تَعُودُواْ نَعُدْ} فيه وجهان: أحدهما وإن تعودوا الى مثل هذا التكذيب نعد الى مثل هذا التصديق، والثاني: إن تعودوا الى مثل ما كان منكم في الأسرى والغنيمة نعد الى الانكار عليكم (٢)، والجمهور من المفسرين على أن الخطاب في الآية لمشركي مكة، ولم يذكر كثير من المفسرين غيره؛ ومنهم الطبري وابن كثير، وأوردا ما يدل على أن السياق يؤيده (٣)، وعلى الراجح فالمعنى: إن تستفتحوا أيها الكفار بأن تطلبوا الفتح أي القضاء حيث قال أبو جهل منكم: اللهم أينا كان أقطع للرحم وأتانا بما لا نعرف فأحنه الغداة أي أهلكه فقد جاءكم الفتح القضاء بهلاك

---

١ سورة الانفال من الآية ١٩.

٢- تفسير الماوردي المسمى: النكت والعيون، ٢/ ٣٠٥-٣٠٦.

٣ - راجع على سبيل التمثيل: تفسيرالطبري١٣/٤٥٠ وما بعدها وتفسير ابن كثير ٣٣/٤

من هو كذلك وهو أبو جهل ومن قتل معه دون النبي والمؤمنين وإن تنتهوا عن الكفر والحرب فهو خير لكم وإن تعودوا إلى الحرب وقتال محمد وقتال أتباعه المؤمنين نَعُدْ بهزيمتكم كما هُزمتم يوم "بدر", ولن تغني عنكم جماعتكم شيئًا, كما لم تغن عنكم يوم بدر مع كثرة عددكم وعتادكم وقلة عدد المؤمنين وعدتهم, وأن الله مع المؤمنين بتأييده ونصره. وبتلك الامثلة القرآنية يظهر -جليا- بعض مجالات السياق القرآني في بيان وتحديد المخاطب أو الموصوف أو المتكلم أو من نزلت فيه الآية

المسألة الثالثة: من مجالات السياق القرآني؛ بيان المراد من المشترك اللفظي:

تشكَّل الألفاظ العربية المشتركة المعاني، مع ما صدَر لها من شروح، وما دار حولها من مناقشات -جزءاً مهماً من تراثنا اللَّغوي والتفسيري. والمقصود بمصطلح "المشترك اللفظي: اللفظ الواحد الذي يطلق على معان مختلفة ليس بينها ما يجمعها، أو كما عرفه الأصبهاني في شرحه على المختصر: بقوله: اللفظ الواحد الموضوع لعدة معان(١) وعلى ذلك فلا مانع من تفسير اللفظ إذا كان من قبيل المشترك اللفظي بجميع معانيه بشرط عدم التمانع أو التنافي بينها.

نموذج لبيان عمل السياق في تحديد المشترك اللفظي: قول الله- تعالى: {وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ}(٢) أورد الماوردي -رحمه الله-

١- بيان المختصر في أصول الفقه لأبي الثناء شمس الدين الأصبهاني ت:٧٤٩هـ، ١٢٤/١، تحقيق: أد علي جمعة ،ط:١، دار السلام في ١٤٢٤ هـ

٢- سورة الزخرف: من الآية ٣٢.

للرحمة أوجها فقال: " فيه أربعة أوجه: أحدها: أن النبوة خير من الغنى. الثاني: أن الجنة خير من الدنيا. الثالث: أن إتمام الفرائض خير من كثرة النوافل. الرابع: أن ما يتفضل به عليهم خير مما يجازيهم عليه من أعمالهم (١)، وذكر بعض المفسرين أن لفظ الرحمة عام يشمل كل ما أمتن الله به(٢)، وذهب الجمهور إلى أن المراد به النبوة بناء على سياق الآية، قال الألوسي-رحمه الله: والرحمة يجوز أن يكون المراد بها ظاهرها وهو ظاهر كلام البحر(٣) ونزل تعيينهم لمن ينزل عليه الوحي منزلة التقسيم لها وتدخل النبوة فيها، ويجوز أن يكون المراد بها النبوة وهو الأنسب لما قبل وعليه أكثر المفسرين(٤)

المسألة الرابعة: من مجالات السياق القرآني: تحديد مرجع الضمير:

ذكر السيوطي-رحمه الله-الضمائر ومرجعها وما يتعلق بها ضمن الأدوات المهمة التي يحتاج المفسر إلى معرفتها(٥) والضمائر في القرآن الكريم كثيرة جداً، وللسياق حضور حيثما وجدت الاحتمالات في معنى الآيات، وما يترتب عليها من اختلافات، فله دور بارز في تحديد عود الضمير، وهو من الأساليب التي يكثر دورانها في التفسير، وله صور

---

١ – تفسير الماوردي ،٥/٢٢٤.

٢ – ينظر: جامع البيان ٢١/٥٩٤، وتفسير الثعالبي ، ٨/١٧٨-١٧٩.

٣- يعني: البحر المحيط للإمام أبي حيان

٤ – روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، المؤلف : محمود الألوسي أبو الفضل، ٢٥/٧٨.

٥- راجع: الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ، تحت عنوان: النوع الأربعون، في معرفة معاني الأدوات التي يحتاج إليها المفسر،١/٤٠٥،.

كثيرة، ويسهم السياق في الانتصار لقاعدة عود الضمير إلى أقرب مذكور في مواطن كثيرة، منها ما جاء في قوله تعالى:{فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلا تَحْزَنِي} (١) وقد تباينت وجهات نظر المفسرين في تعيين المنادِى لمريم، فقال بعضهم: المنادِي هو جبريل عليه السلام(٢)، لأنه أخبرها بما من شأنه أن يكون توجيهاً من الله تعالى.، وقالت طائفة(٣): المنادي هو عيسى-عليه السلام-، ودليلهم سياق الضمائر، وعودة الضمير في (فنادها) إلى أقرب مذكور، وهو عيسى-عليه السلام. ويؤيد هذا أن الضمائر السابقة في سياق واحد، وكلها تعود إلى عيسى، (ولنجعله) (ورحمة منا)، (فحملته)، (فانتبذت به)، (فنادها)، فهذه خمسة ضمائر بين بارز ومستتر، كلها عائد إلى عيسى-عليه السلام-اتفاقاً إلا ضمير (فنادها)، فإلحاقه بها أنسب للسياق.(٤)، ويشهد لهذا التوجيه أيضاً ما جاء في الآية التي بعدها:{فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ} (٥)،أي ليتكلم فلو لم يكن قد سبق له الكلام لما أشارت إليه، وواضح أنها أشارت إليه ليكلموه؛ لأنهم قالوا لها في السياق نفسه: {قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا}(٦)، وعندها تكلم فقال {قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ }(٧). يضاف إلى دليل السياق هذا:

١- سورة مريم: من الآية ٢٤.

٢- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، جـ١١، ص٩٣.

٣- التفسير الكبير للرازي، جـ٢١، ص١٧٤.

٤- قواعد الترجيح عند المفسرين، لحسين بن علي الحربي، جـ٢، ص٦٢٨.

٥- سورة مريم: من الآية ٢٩.

٦- سورة مريم: من الآية ٢٩.

٧- سورة مريم: من الآية ٣٠.

قراءة متواترة، وهي: {فناداها مَن تحتها}بفتح الميم في {من} على أنها اسم موصول بمعنى: الذي. وهي نص في التعيين (١) وبهذا يتبين جلياً مهمة السياق في تحديد مرجع الضمير لبيان معنى الآية أو الآيات

المسألة الخامسة: من مجالات السياق القرآني؛ بيان الحذف وتقديره:

مما امتازت به لغة العرب: الحذف للاختصار أو التفخيم أو لغيرها من الأسباب(٢)، ولكن بشروط(٣) وما يعنينا هنا اشتراطهم أن يكون في الكلام المذكور دلالة على المحذوف، وفي هذا يقول العز- رحمه الله: والعرب لا يحذفون ما لا دلالة عليه، لأن حذف ما لا دلالة عليه مناف لغرض وضع الكلام من الإفادة والإفهام.(٤) وعن مكانة السياق في تحديد المحذوف وبيانه يقول الزركشي-رحمه الله-وأعلم أن دلالة السياق قاطعة بهذه المحذوفات(٥)

أين جواب لو؟ قال الله-تعالى{وَلَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى}(٦)، ذكر المفسرون أقوالاً في تقدير جواب لو المحذوف، فيرى بعضهم أن التقدير: (وهم يكفرون بالرحمن)، (ولو أن

١- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، مكي بن أبي طالب، جـ٢، ص٨٦.

٢- ينظر: الإتقان للسيوطي ٣١٤/٢.

٣- ينظر: البرهان في علوم القرآن للزركلي، ٣١٨/٢ وما بعدها.

٤- الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز، العز بن عبد السلام، ص٢.

٥- البرهان في علوم القرآن للزركلي، ١٢٩/٣

٦- سورة الرعد: من الآية ٣١.

قرآنا سيرت به الجبال)، أي: يكفرون بالله ولو سير لهم الجبال بهذا القرآن، وقالوا: هو من المؤخر الذي معناه التقديم. وجعلوا جواب "لو"مقدماً قبلها، وذلك أن الكلام على معنى قبلهم: (ولو أن هذا القرآن سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض، لكفروا بالرحمن) (١) ، وقيل المعنى: بل معناه: (ولو أن قرآنا سيرت به الجبال) كلام مبتدأ منقطع عن قوله: (وهم يكفرون بالرحمن). قال: وجواب "لو" محذوف استغنى بمعرفة السامعين المراد من الكلام عن ذكر جوابها.، وذكر ابن عطية-رحمه الله- قولاً آخر في تقدير المحذوف، وحسنه فقال: وقالت فرقة: جواب (لو) محذوف، ولكن ليس في هذا المعنى، بل تقديره: لكان هذا القرآن الذي يصنع هذا به، وتتضمن الآية-على هذا: تعظيم القرآن، وهذا قول حسن يحرز فصاحة الآية.(٢) أقول: وفي تحسين ابن عطية بُعد؛ إذ أن السياق لا يخدمه، وما استند إلى السياق أولى بالترجيح

١- جامع البيان ٤٧٦/١٦، ٤٧٧.

٢- المحرر الوجيز، المؤلف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، ٣١٧/٣.

المسألة السادسة: من مجالات السياق القرآني؛ بيان التقديم والتأخير في بعض آيات القرآن الحكيم.

للقران الكريم معاني أولية، وهي معاني كلماته وجمله، وهناك معان ثانية، وهذه المعاني تؤخذ من نظمه البديع؛ فتقديم كلمة في آية، وتأخيرها في أخرى، يعطي معنى ثانياً غير المعنى الذي تعطيه الألفاظ، ولا يتقدم اللفظ في القرآن ذكراً، أو يتأخر إلا لموجب وغرض، علمه من علم، وجهله من جهل، وموضوع التقديم والتأخير في القرآن شغل المفسرين منذ ظهور الظاهرة القرآنية، وهو لا يزال يشغلها، وسيبقى كذلك إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. ومع مكانة التقديم والتأخير في لغة العرب إلا أنه لا يصار إليه إلا عند تعذر سير الكلام على طبيعته، ووجود مرجح للتقديم والتأخير كالسياق وغيره، وقد اعتنى المفسرون بالسياق باعتباره من أقوى الأدوات المعينة على بيان وتحديد المقدم والمؤخر في الآيات القرآنية. قال الله تعالى: {وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَاماً وَأَجَلٌ مُسَمًّى}(١) قال الطبري عند تفسيره لهذه الآية نقلاً عن قتادة-رحمه الله- وهذه من مقاديم الكلام، يقول: لولا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمى كان لزاما(٢)، وعن ابن زيد، في معنى الآية قال: هذا مقدم ومؤخر، ولولا كلمة سبقت من ربك وأجل مسمى لكان لزاماً(٣) وقال ابن كثير: أي لولا الكلمة السابقة

١- سورة طه: الآية ١٢٩.

٢- جامع البيان ٣٩٩/١٨.

٣- المرجع السابق نفس الصفحة.

من الله، وهو ألا يعذب أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه،(١) وإلى هذا ذهب جمع من المفسرين(٢)

<u>النوع الثاني الترجيح:</u> وهي وظيفة ثانية للسياق، ومجيئها بعد وظيفة البيان لا يعني دونية رتبتها عن الأولى، وإنما يتكاملان فيما بينهما خدمة للنص وبخاصة؛ القرآني، ويتأتى الترجيح بالسياق في التفسير بتقديم أقوال المفسرين بعضها على بعض، وذلك بترجيح معنى للنص على معنى آخر يجليه السياق، أو رفع احتمال بتأكيده بدلالة السياق عن غيره، وبهذا تتبين ازدواجية فائدة السياق باعتباره من الأصول التفسيرية، والقواعد الترجيحية، جاء في تفسير المنار: إن أفضل قرينة تقوم على حقيقة معنى اللفظ موافقته لما سبق له من القول، واتفاقه مع جملة المعنى، وائتلافه مع القصد الذي جاء به الكتاب جملة"(٣)، وقد تقررت أهمية السياق باعتباره من القواعد التي يترجح بها معنى على آخر، جاء في قواعد الترجيح:" أما وجوه الترجيح فهي اثنا عشر ...سادسا: أن يشهد لصحة القول سياق الكلام، ويدل عليه ما قبله وما بعده"(٤) وما سبق الحديث فيه عن مجالات البيان بسياق القرآن يتقاسمه معه النوع الثاني؛ مجالات الترجيح بالسياق القرآني من: ترجيح معنى لفظ على آخر بعلة السياق، أو

١- انظر: تفسير ابن كثير ٢٧٢/٥

٢- ينظر عند تفسير هذه الآية على سبيل المثال: المحرر الوجيز لابن عطية ٢٧٢/٥، ومعالم التنزيل للبغوي ، ١٣٣/٩ ومدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي٦٣/٣

٣ – تفسير المنار للشيخ: رشيد رضا ٣٠/١.

٤ –: الدراسات القرآنية بالمغرب في القرن الرابع الهجري، تأليف: إبراهيم الوافي ، صـ ١٢٠، نقلا عن: الريان في تفسير القرآن للمجلسي، صـ ١٥-١٦

ترجيح مخاطب أو موصوف على آخر....؛ فلا أطيل بتكراره، وهكذا فالبيان والترجيح بالسياق يتسابقان في مجالات خدمة النص القرآني في منظومة تكاملية بضوابط شرعية تحت مظلة لغوية

نماذج حاكمة للترجيح بالسياق:

١- في قول الله- تعالى{فإذا انسلخ الأشهر الحرم}(١)؛ الشهور المعهودة أم شهور العهد. اختلف العلماء في المراد بالأشهر الحرم في هذه الآية، فقيل إنها رجب وذو العقدة وذو الحجة والمحرم، وهي الأشهر الحرم المعهودة، وقد ذكر الماوردي-رحمه الله-هذا القول ونسبه إلى الجمهور(٢)، وذكر بعض العلماء والمفسرين خلاف ذلك، بل إن ابن العربي-رحمه الله- ذكر في المسألة أربعة أقوال وأسقط القول بكون المراد بها الأشهر الحرم المعروفة فقال: قَوْلُهُ { فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ}: فِيهَا أَرْبَعَةُ أَقْوَالٍ؛ ذكرها، ثم رجح ما رآهُ فقال: أَمَّا الْقَوْلُ الْأَوَّلُ فَسَاقِطٌ لَا يَنْبَغِي أَنْ نَشْتَغِلَ بِهِ لِانْعِقَادِ الْإِجْمَاعِ عَلَى فَسَادِهِ، وَأَمَّا سَائِرُ الْأَقْوَالِ فَمُحْتَمَلَةٌ، إلَّا أَنَّ الصَّحِيحَ عِنْدَنَا: أَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ مِنْ يَوْمِ النَّحْرِ(٣)واستدل صاحب البحر المديد بسياقي المقال والمقام على صحة ما رجح به فقال:" وغلط من قال: إنها الأشهر الحرم المعلومة؛ لإخلاله بنظم الكلام ومخالفته للإجماع "(٤) كما استدل الشيخ الدكتور طنطاوي بنوع من سياق المقام على الترجيح

---

١ – سورة التوبة من الآية ٥

٢ – تفسير الماوردى؛ النكت والعيون ،٣٤٠/٢.

٣ – انظر: احكام القرآن لاين العربي، ١٥٥/٨، الناشر : دار الكتب العلمية

٤ – البحر المديد ، أحمد بن محمد بن عجيبة أبو العباس، ٧٥/٣.

بين الأقوال التفسيرية فقال: المراد بالأشهر الحرم هنا: هي أشهر العهد الأربعة التي أبيح للمشركين السياحة فيها في الأرض، لا الأشهر الحرم الأربعة المعروفة، فالتقييد بها يفيد أن قتلهم بعد انسلاخها مأمور به في جميع الأزمنة والأمكنة، وأيضاً لأن الرسول غزا هوازن وثقيف وأرسل بعض أصحابه إلى أوطاس (١) ليحارب من فيها من المشركين، وكان ذلك في بعض الأشهر الحرم، ولو كان القتال فيهن حراما لما فعله النبي"(٢)

٢-دلالة الترجيح بالسياق في المراد بقول الله{ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ}(٣)الهرم أم سوء العاقبة؟، المتتبع لأقوال المفسرين في المراد: بالرد إلى أسفل السافلين، يرى أنهم قد أرجعوه إلى دلالتين: أ- الهرم عند أرزل العمر، قاله ابن عباس والضحاك والكلبي وغيرهم.، ب- سوء العاقبة بدخول النار، قاله مجاهد وقتادة وابن زيد وغيرهم(٤) والجدير بالذكر أن من المفسرين من انتصر للأول بسياق، ومنهم من انتصر للثاني بسياق آخر، وقد رجح الطبري-رحمه الله-الرأي الأول بعد إيراده القولين ومن قال بهما وعلل لاختياره مستدلا بالسياق المقالي في آية أخرى؛ فقال" وإنما قلنا: هذا القول أولى بالصواب في ذلك: لان الله تعالى ذكره، أخبر عن

---

١ - أوطاس-بفتح أوله وسكون الواو وبالطاء والسين المهملتين:واد في ديار هوازن، والصحيح أنه غير وادي حنين (سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، محمد بن يوسف الصالحي ٣٥٢/٥.

٢ - التفسير الوسيط للدكتور طنطاوي، ٣٧٩/١.

٣ - سورة التين الآية ٥

٤- للوقوف على القولين ومن قال بهما يراجع: جامع البيان للطبري :٥٠٨/٢٤ وما بعدها

خلقه ابن آدم، وتصريفه في الاحوال، احتجاجا بذلك على منكري قدرته على البعث بعد الموت. ألا ترى أنه يقول: { فما يكذبك بعد بالدين} يعني: بعد هذه الحجج. ومحال أن يحتج على قوم كانوا منكرين معنى من المعاني، بما كانوا له منكرين. وإنما الحجة على كل قوم بما لا يقدرون على دفعه، مما يعاينونه ويحسونه، أو يقرون به، وإن لم يكونوا له محسين. وإذ كان ذلك كذلك، وكان القوم للنار التي كان الله يتوعدهم بها في الآخرة منكرين، وكانوا لأهل الهرم والخرف من بعد الشباب والجلد شاهدين، علم أنه إنما احتج عليهم بما كانوا له معاينين، من تصريفه خلقه، ونقله إياهم من حال التقويم الحسن والشباب والجلد، إلى الهرم والضعف وفناء العمر، وحدوث الخرف"(١)

المطلب الثاني: مآلات السياق القرآني عند المعتدلين :

تأتي قضية مآلات السياق القرآني عند المعتدلين بعد الحديث عن مجالاته لتكون بمثابة النتيجة الحتمية لها؛ فإذا ما وضعت المجالات في موضعها الصحيح فلابد أن تكون المآلات صحيحة؛ فَتَدبُّر معاني آيات القرآن الكريم بالسياق القرآني؛ المقالي والمقامي، يؤول بالفهم عند المتلقي إلى الرشد.

ومآلات السياق القرآني كثيرة ومتنوعة نظرا لمجالاته، وسأقصر الحديث على أهمها أو أكثرها شيوعا:

١ – جامع البيان، ٢٤/٥١٠

***- إعمال مجالات السياق القرآني بوجهيه؛ المقالي والمقامي في دائرة اللغة، وتحت مظلة الشرع، بعقل منضبط؛ فسياق القرآن عند المفسرين منضبط بضوابط مشروعة من اللغة والشرع والعقل([1])، وفهم النص بسياقه ليس متحررا من كل القيود كما ادعى العقلانيون والحداثيون، إذ هما يرون وجوب تقديم العقل واعتباره مقياس القبول أو الرد، وقد جاء عن رواد المدرسة العقلية الحديثة ما يؤكد تقديم العقل عند الحديث عن أصول الاستدلال "الدلالة أربعة: حجة العقل، والكتاب، والسنة، والإجماع"([2])، وعن هذا التقديم يقول أحد الحداثيين:" إن العقل هو أساس النقل، وأن كل ما عارض العقل فإنه يعارض النقل، وكل ما وافق العقل فإنه يوافق النقل، ظهر ذلك عند المعتزلة والفلاسفة ...، ثم قال: لقد احتمينا بالنصوص فجاء اللصوص "(٣) وهو تحكم من غير دليل إلا تقديم سلطان العقل، وجعله المصدر الرئيس الذي يجب الرجوع إليه وإخضاع النصوص لما يتوصل إليه العقل، ولكن أي عقل يقصدون؟ والعقول فيما بينها متفاوتة، بل إن العقل الواحد ليتفاوت في إدراك الأمر الواحد عند تعدد المدارك، يقول السيوطي-رحمه الله-التفسير هو كشف معاني القرآن وبيان المراد منه، سواء أكانت معاني لغوية أم شرعية، بالوضع أم بقرائن الأحوال، ومعونة المقام "(٤) فلا يمكن الوقوف على معنى الآيات والمراد منها إلا بعد الوقوف على قرائن اللفظ وملابساته، يقول ابن دقيق العيد-**

---

[1] - وسيأتي بيان ذلك بإذن الله في موضعه عند الحديث عن هذه الضوابط

[2] - شرح الأصول الخمسة للقاضي عبدالجبار، ص ٨٨، تحقيق: د/عبدالكريم عثمان

٣ - التراث والتجديد (ص ٨٨

٤ - التحبير في علم التفسير للسيوطي ، صـ٣٨، تحقيق: فتحي عبد القادر فريد.

رحمه الله-"أما السياق والقرائن فإنها الدالة على مراد المتكلم من كلامه"(١)

***- فهم النص القرآني باجتهاد منضبط، وتنزيل له على واقع متغير، دون الجمود بالوقوف على ظواهر النصوص فحسب " فالجمود على المنقولات أبدا إخلال في الدين وجهل بمقاصد علماء المسلمين"(٢) والقرآن يفسر بعضه ببعض وإن أفضل قرينة تقوم على حقيقة معنى اللفظ موافقته لما سبق له من قول واتفاقه مع جملة المعنى وائتلافه مع القصد الذي جاء له الكتاب بجملته" (٣)، كما أن معرفة المعنى الأصلي للفظة القرآنية واستعمالاتها المعجمية المتعددة غير كاف لفهم المراد ما لم يوقف على دلالة السياق؛ المقالية والمقامية للفظة أو الآية القرآنية. وهذا ما أكده بعض المعاصرين بقوله: "إن النظر في سياق الآية سباقها ولحاقها يعين على تعيين القول الراجح، وقد اهتم كثير من المفسرين بالسياق، وقد يكون اللفظ عاما محتملا لأكثر من معنى؛ فيحدد بالسياق أحد هذه المعاني؛ لأنه أولى به وأقرب إليه مع أن غيره من الأقوال محتمل(٤)؛ فعلى المفسر ألا ينظر في الكلمة أو الجملة مستقلة بنفسها، بل عليه أن**

---

١ - إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام لابن دقيق العيد ،جـ٢صـ٢٢٥، تحقيق: مصطفى شيخ مصطفى ومدثر سندس.

٢ - أنوار البروق في أنواء الفروق لشهاب الدين القرافي، ١٧٧/١، تحقيق: منصور خليل.

٣- تفسير القرآن الحكيم الشهير تفسير المنار للشيخ رشيد رضا ،جـ١ صـ٢٢.

٤ - فصول في أصول التفسير للدكتور مساعد الطيار صـ ١٠٤

ينظر إليها في سياق النص القرآني؛ فإن ذلك معين على تحديد المعنى المراد، لا سيما إذا كان للكلمة أو الجملة أكثر من معنى(١)

***-تجنب التأويل الفاسد؛ فاعتبار السياق بوجهيه وضوابطه يعد طريقا قويما من طرق الاجتهاد المعوَّل عليه، بل والضروري لفهم آيات القرآن وتأويلها تأويلا صحيحا، وهو ما أكده الغزالي-رحمه الله-عند حديثه عن القرائن الدلالية(٢) وقد حاول بعض المغالين الوقوف بالنص عند ظاهره وإن خالف في معناه نصا واضحا وحاول البعض السير به في سياقات بعيدة خدمة لمذاهب وأفكار هادمة وقد جاء عن الشاطبي-رحمه الله- في معرض حديثة عن وجوب تقديم المنقول على المعقول فقال:" فإذا تعاضد النقل والعقل على المسائل الشرعية فعلى شرط أن يتقدم النقل فيكون متبوعا ويتأخر العقل فيكون تابعا (٣)**

---

١ – بحوث في أصول التفسير ومناهجه للدكتور فهد الرومي، صـ ١٤٠

٢ – راجع المستصفى للعزالي، ١٤٩/١، ط: دار الكتب العلمية في ١٩٩٣م.

٣ – الموافقات للشاطبي ٨٧/١، دار المعرفة – بيروت، تحقيق : عبد الله دراز

المبحث الثاني: مجالات ومآلات قراءات العقلانيين والحداثيين للنص القرآني بسياقه

المطلب الأول: مجالات السياق القرآني عند العقلانيين:

تتعدد مجالات السياق القرآني عند العقلانيين؛ والتي تنبع من مناهجهم في فهم آيات القرآن الكريم تبعا لمبادئهم وقواعدهم التي وضعوها لأنفسهم، ودافعوا عنها وحاولوا تطويع بعض الآيات خدمة لها، ويمكن إرجاع أهم هذه المجالات إلى:

***- تعظيم أمر العقل وتمجيد ما يصل إليه، إن تقديم العقل وتعظيمه مما يكاد يجمع عليه رجال المدرسة العقلية في القديم والحديث -مع تفاوت بينهم- في فهم آيات القرآن الكريم، ولهم في ذلك أقوال كثيرة منها قول النظام: إن المكلف- قبل ورود السمع- إذا كان عاقلاً متمكناً من النظر يجب عليه تحصيل معرفة الباري-تعالى- بالنظر والاستدلال، وقال بتحسين العقل وتقبيحه في جميع ما يتصرف فيه من أفعال "(١)، ولقد لخص الدكتور الرومي منهج المعتزلة في تفسير القرآن الكريم والذي تابعهم فيه كثير من العقلانيين المحدثين فقال: حكموا-أي المعتزلة- العقل في أكثر من تحكيمهم للشرع بل جعلوا الأدلة العقلية مقدمة على الأدلة الشرعية فكذبوا ما لا يوافق العقل من الأحاديث وإن صح، وأولوا ما لا يوافقه من الآيات وإن وضحت، بل حاولوا إخضاع عبارات القرآن لآرائهم وتفسيرهم لها تفسيرا يتفق مع مبادئهم، وقالوا بسلطة العقل وقدرته على معرفة**

---

١ - الملل والنحل، المؤلف : محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، ٥٢/١.

الحسن والقبيح، ولو لم يرد بهما شرع، والحسن والقبح صفتان ذاتيان للحسن والقبيح، ورتبوا على هذا أن الإنسان مكلف قبل ورود الشرائع، أو إذا لم تبلغه دعوة الرسل بما يدل عليه العقل فهو مكلف ولو لم يصل إليه شرع(١)، ويقول أحد الحداثيين: إن العقل هو أساس النقل، وأن كل ما عارض العقل فإنه يعارض النقل، وكل ما وافق العقل فإنه يوافق النقل(٢).

***- تأويل بعض النصوص التي تبدو معارضة لقضية عقلية، انقضى عهد الصحابة- رضي الله عنهم- ولم يكن بينهم خلاف يذكر حول أصول العقائد التي استقوا مادة فهمهم لها من دلالات آيات القرآن دون تقعر منهم أو تشدق، وإنما بلغة صافية، وعقيدة راسخة، أقرهم عليها القرآن ذاته، ولم يطلب منهم أكثر من هذا الفهم، قال الجويني-رحمه الله-وقد درج صحب النبي-صلى الله عليه وسلم-على ترك التعرض لمعانيها، ودرك ما فيها، وهم صفوة الإسلام، والمستقلون بأعباء الشريعة، وكانوا لا يألون جهدا في ضبط قواعد الملة، والتواصي بحفظها، وتعليم الناس ما يحتاجون إليه منها، فلو كان تأويل هذه الآي والظواهر مسوغا أو محتوما لأوشك أن يكون اهتمامهم فوق اهتمامهم بفروع الشريعة، وإذا تصرم عصرهم وعصر التابعين على الإضراب عن التأويل، كان ذلك قاطعا على أنه الوجه المتبع بحق، فعلى ذي اليدين أن يعتقد تنزيه الرب عن صفات المحدثين، ولا**

---

١ - منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير، تأليف : د/فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، ٥٤/١، وراجع: الملل والنحل للشهرستاني ٤٢/١ وما بعدها،.والتفسير والمفسرون للذهبي ٨١/٤ وما بعدها تحت عنوان: المعتزلة وموقفهم من تفسير القرآن الكريم

٢ - التراث والتجديد، حسن حنفي صـ ٨٨، المركز الثقافي، بيروت، ط١

يخاض في تأويل المشكلات، ويكل معانيها إلى الرب تعالى"(١)، وحين دب داء التفرق المذهبي أخذت كل فرقة تأول الآيات القرآنية غالبا حسب مذهبها حتى تضفي عليه قداسة عند المتلقين. وقد اتخذت المدرسة العقلية مبدأ التأويل لتأييد مبادئها، كما قال الشيخ محمود شلتوت: لما حدثت بدعة الفرق والتطاحن المذهبي والتشاحن الطائفي، أخذ أرباب المذاهب، وحملوا رايات الفرق المختلفة يتنافسون في العصبيات المذهبية والسياسية، وامتدت أيديهم إلى القرآن فأخذوا يوجهون العقول في فهمه وجهات تتفق وما يريدون، وبذلك تعددت وجهات النظر في القرآن الكريم، واختلفت مسالك الناس في فهمه وتفسيره، وظهرت في أثناء ذلك ظاهرة خطيرة، ومنهم من عنى بتنزيل القرآن على مذهبه أو عقيدته الخاصة، وبذلك وجدت تحكمات الفقهاء والمتكلمين، وغلاة الصوفية وغيرهم ممن يروجون لمذاهبهم، ويستبيحون في سبيل تأييدها والدعاية لها أن يقتحموا حمى القرآن، فأصبحنا نرى من يؤول الآيات لتوافق مذهب فلان، ومن يخرجها عن بيانها الواضح، وعرضها المسوق له، لكيلا تصلح لمذهب فلان، وبهذا أصبح القرآن تابعا بعد أن كان متبوعا، ومحكوما عليه بعد أن كان حاكما(٢)

---

١ – العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية ، تأليف: عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني ، صـ ٢٣-٢٤.

٢ – مقدمة تفسير القرآن الكريم للشيخ محمود شلتوت ، صـ٩-١٠.

المطلب الثاني: مآلات السياق القرآني عند العقلانيين:

ترتب على مجالات السياق عند العقلانيين مآلات من أهمها:

***- العدول عن دلالات ظواهر بعض الآيات. الأصل في نصوص القرآن -وكذا السنة- أن تحمل على ظواهرها وتفسر على حسب ما يقتضيه ظاهر اللفظ ولا يجوز أن يعدل بألفاظ الوحي عن ظاهرها إلا بدليل واضح يجب الرجوع إليه([1]) ومع هذا الأصل التفسيري الذي ارتضاه العلماء سلفا وخلفا إلا أن أصحاب المدرسة العقلية في القديم وتابعهم البعض في الحديث، والحداثيين، بل وبعض المدارس الأخرى أعرضوا عن الأخذ بظواهر الآيات القرآنية -مع تفاوت في الإعراض ؛ فهم يرون" أن إخضاع دليل النقل لدليل العقل فبه من الحرية العلمية كل ما تتسعه هذه الكلمة من معنى، ومما يعطي العلماء سلطة واسعة أمام الجامدين من رجال الدين؛ فلا يكون لأولئك الجامدين سلطان عليهم أصلا"([2])، فهم لا يعولون على ظواهر الآيات ، بل إلى ما يجرهم إليه عقولهم، حتى جعلوا الوقوف على دليل النقل جمود ودليل العقل حرية !!!**

***- تأويل بعض الآيات التي لا تتلاءم مع المعقول- من وجهتهم- بما يتوافق معها؛ فقد أولوا-على سبيل المثال: قوله تعالى:{ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ }(٣) إلى أن النظر يكون بذلك إلى الثواب لا إلى الله- عز وجل، وقالوا في تفسيرها: أي منتظرة ثواب ربها. مخالفين بذلك**

---

١ - القول المبين في قواعد الرجيح بين المفسرين ١٣/١

٢ - حرية الفكر في الإسلام ، عبدا لمتعال الصعيدي، صـ ٣٢.

٣ - سورة القيامة الآينان ٢٢-٢٣

ظاهر الآية، ومقتضى اللغة العربية، وتفسير السلف لهذه الآية(١)، وفي قوله تعالى:{إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِينَ}(٢) يقول رشيد رضا في تفسيره لهذه الآية:" إن هذا الإمداد روحاني يؤثر في القلوب فيزيد من قوتها المعنوية" ثم يقول:" وظاهر نص القرآن أن إنزال الملائكة وإمداد المسلمين بهم فائدته معنوية كما تقدم وأنهم لم يكونوا محاربين"(٣) وما ذهب إليه صاحب المنار –وهو من رواد المدرسة العقلية الحديثة– يخالف السياق الداخلي والخارجي للآيات القرآنية؛ فهو تأويل بعيد جدا يخالف ظاهر النص، والأحاديث الصحيحة التي ذكرت نزو ل الملائكة يوم بدرٍ وقتالها مع المسلمين؛ مخالفين بذلك تفسير السلف.

المطلب الثالث: مجالات السياق القرآني عند الحداثيين:

تتزاحم مجالات السياق عند الحداثيين لتشمل كل ما له صلة بالنص، وتوظيفه حسب قراءاتهم له، ومنها:

*– توظيف السياق القرآني بقراءاته حسب تاريخية النص القرآني، وإخضاعه للنقد. يرى رواد هذا المنهج: التشكيك في مصدرية القرآن، وضرورة البعد عن قراءته بترسيخ مقدس، وإنما بتأريخ ينفي عنه قداسة

١ – راجع: تفسير القرطبي، ١٠٨/١٩، المحقق : هشام سمير البخاري.

٢ – سورة الأنفال من الآية ٥

٣ – تفسير المنار، ٥٠٦/٩.

المصدر(١) وهي نظرة تاريخية للنص تعبرعن حقبة زمنية، ولا يعني استمرار دلالتها؛ فنصوص القرآن كما يقول أركون: تعبر عن روح ثقافة بأكملها ضمن إطار زماني مضى وانقضى (٢)، وهم يبغون من وراء ذلك: فهم النص في سياقه الآني، وعدم الوقوف مع فهمه عند زمن نزوله، بل إنهم ليتهكمون من إلباس فهم السياق ثوبه الشرعي، يقول أركون: " تخلق القراءات المؤمنة باختراق النصوص وانتزاع الآيات من سياقها"(٣) وهدفهم من وراء ذلك: هدم النص وليس فهمه، كما قال أبو زيد: يلتفتون في الخطاب إلى ما يسكت عنه النص وما يحبسه من بداهات ومصادرات، ولا ينظر إلى امتلائه وإحكامه واكتماله بقدر ما ننظر إلى نقصه وتصدعه وفجواته (٤)

***- <u>اليقين بأن التحسين والتقبيح أمر عقلي:</u> عايش الصحابة النص القرآني- وهم أكمل الخلق عقولا- ولم يثبت أن عارضه أحد بعقله، وما كان منهم من إشكالات عرضت لهم فعرضوها على الرسول- صلى الله عليه وسلم- إنما كان من باب الاستفهام في مجال الأحكام للجمع بين النصوص التي يوهم ظاهرها التعارض إلا أن الحداثيين يبغونها عوجا بمنح العقل ما ليس له به علم، وتحميله من الأمر ما لا يطيق، وهم بذلك يتتبعون خطى أسلافهم من المعتزلة بل زادوا عليهم في ذلك حتى جعلوا**

---

١ – راجع: نحو نقد العقل الإسلامي عند مخمد أركون ، صـ ٢٠٠، ترجمة: مختار الفجاري.

٢ – تاريخية الفكر العربي، محمد أركون صـ ٧١، ترجمة: هاشم صالح.

٣ – الفكر الإسلامي نقد واجتهاد ، محمد أركون، ترجمة: هاشم سالح، صـ ٣٣.

٤ – نقد الخطاب الديني –حامد نصر أبوزيد ، صـ ١٣٠ *

العقل ناقدا للنص ومهيمنا عليه باعتبار أن النص منفتح على كل العقول وقابل لكل الفهوم حسب الأشخاص والبيئات والتصورات، وأن المتحكم الوحيد في الفهم هو الواقع والعقل دون النص، كما قال الدكتور حنفي:" لا يُعتمد على صدق الخبر سنداً أو متناً، وكلاهما لا يثبتان إلاَّ بالحس والعقل طبقاً لشروط التواتر، فالخبر وحده ليس حجةً ولا يثبت شيئاً على عكس ما هو سائد في الحركة السلفية المعاصرة على اعتمادها المطلق على: "قال الله"، و"قال الرُسول" واستشهادها بالحجج النقلية وحدها دون إعمال الحس والعقل، وكأن الخبر حجة، وكأن النقل برهان، وأسقطت العقل والواقع من الحساب في حين أن العقل أساس النقل"(١)، وهذا الفهم قد أدى بهم إلى قطع الصلة بين اللفظ القرآني وبين ما ينتجه بالسياق من معنى، لأنهم يرون أن " النص وقراءته شيئان منفصلان"(٢)، وأن مراد الحداثي- كما صرح أحدهم(٣)-ليس ما أورده النص بل ما سكت عنه(٤) وقد بدا واضحا أن التحسين والتقبيح أمر عقلي لا محيد عنه عند رواد المدرسة الحداثية؛ بل إنهم ليخصونه بالتفرد في هذا الأمر، يقول أركون" إن العقل

---

١ – التُّراث والتجديد من العقيدة إلى الثورة، حسن حنفي، ص:٣١٨

٢ – لذة النص، رولان بارت ،صـ ٦٢، ترجمة د/ منذر عياشي، مركز النماء الحضاري ،دار لوسوي-باريس، ط:١ في ١٩٩٢م. نقلا عنه: ظاهرة إهدار السياق صـ٤٦

٣ – هو: عبد العزيز حمودة

٤ – المرايا المحدبة من البينونة إلى التفكيك، سلسلة عالم المعرفة عدد ٢٣٢،صـ ٢٠٩، الكويت ، المجلس الوطني للثقافة والفنون ، في ١٩٩٨م- *

قادر بنفسه وبإمكانياته الخاصة على تحقيق التقدم للبشرية، وفهم كل الأشياء والسيطرة عليها"(١)

المطلب الرابع: مآلات السياق القرآني عند الحداثيين:

للقراءات المتعددة وغير المعتدلة من الحداثيين للنص القرآني من خلال سياقه بعنصريه؛ المقالي والمقامي تنوع واضح فيما آلت إليه هذه القراءات على منتجاتهم التي لا يجمعها منهج موحد، ومن مآلات هذه القراءات المبتورة من سياقها الحقيقي:

*- الطعن في مصدر القرآن، ونفي القداسة عنه، وقد تأتَّى ذلك من توظيفهم لتاريخية النص القرآني (٢) بل إنهم ليرون-عاملهم الله بما يستحقون- أن النص إنما نال منزلته وقداسته لا لأنه مقدس وإنما بسبب العقلية الرجعية التي أنزلته هذه المنزلة، يقول أبوزيد" الفكر الرجعي في تيار الثقافة العربية الإسلامية هو الذي يحول النص(أي القرآن الكريم)إلى شيء له قداسته، بالقول: إنه نص خاص، وخصوصيته نابعه من قداسته وألوهية مصدره؛ بينما حقيقة النص وجوهره أنه منتج ثقافي تشكل في الواقع والثقافة خلال فترة تزيد على العشرين عاما"(٣) والقرائن النقلية والعقلية تهدم ما أقدموا عليه، وهي أكثر من أن تحصى

١ - قضايا في نقد العقل الديني -محمد أركون - ترجمة: هشام صالح، ص:٣٢٠.

٢ - انظر: نحو نقد العقل الإسلامي، أركون، ص: ٢٠٠.

٣ - راجع: مفهوم النص دراسة في علوم القرآن، نصر حامد أبوزيد ١٤-٢٧.

***- إسقاط المنهج النقدي على النص القرآني، والذي يعني: نقد الكتب الدينية عموما، قال زكي مبارك: والقرآن نثر جاهلي، والسجع فيه يجري على طريقة الجاهلية حين يخاطب القلب والوجدان، ولا ينكر متعنت أن القرآن وضع للصلوات والدعوات ومواقف الخوف والرجاء سورا مسجوعة تماثل ما كان يرتله المتدينون من النصارى واليهود والوثنية"(١)**

***- تجريد النص من مقاصد قائله إلى بيئة قارئه؛ فهم يرون أن" النص لا ينطوي، ولا بأي شكل كان على كائن سابق أو لا حق على كتابته"(٢)**

***- القراءة الآنية للنص(القرآن الكريم: يرى الحداثيون أن الفهم الصحيح للنص القرآني هو قراءته بعيدا عن الضوابط الشرعية واللغوية المتعارف عليها، والسير به نحو فهم آني، ودون نسبة محددة.**

***- قطع الصلة بين النص(القرآن) وبين قائله(الله تعالى)، ويعني: أن فهمه متاح لكل أحد؛ حسب الثقافة والبيئة، وقد ركبوا من أجل مشروعهم هذا أصعب المراكب، وباعوا كل يقين وثابت حتى رأوا أن قطع الصلة بين النص وقائله؛ بل اعتباره ميتا هو الثمن الذي تتطلبه ولادة القراءة(٣) وقد**

---

١ -العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب ، محمد حامد الناصر، صـ ٣٨٧.

٢ - موت المؤلف نقد وحقيقة، بارت صـ ٢٠، ترجمة د/ منذر عياشي، مركز النماء الحضاري، ، ط:١ في ١٩٩٢م. نقلا عنه: ظاهرة إهدار السياق صـ٤٥

٣ - انظر: السابق، صـ ٢٥، نقلا عنه: ظاهرة إهدار السياق صـ٤٤

أعلن أحد روادهم بكل جرأة :موت المؤلف قائلا: "لقد مات المؤلف بوصفه مؤسسا للنص"(١)

***- تعطيل كثير من الأحكام التشريعية، وقراءتها بسياقات شاذة، لا تمت إلى السياق بصلة**

***- الاستيعاض عن تأويل النص القرآني إلى محاولة إيجاد البديل عنه؛ فبمجرد النظر في تأويلات الحداثيين للنص القرآني لا نجد منهم تأويلا علميا منضبطا هدفه بيان النص وفهمه، بل نجد نصا مغايرا بل متناقضا لا يعني استنطاقه بما يحويه من معان وإنما استبداله بنصوص مغايرة بل متناقضة؛ كما قال أبوزيد: التأويل هو الذي يمثل الوجه الآخر للنص في فهمنا المعاصر(٢) "وكأنه ينقل إجماع الحداثيين على مآلات هذه القراءات، ويؤكد هذا المعنى في موطن آخر فيقول: القراءات المهمة للقرآن ليست هي التي تقول لنا ما أراد النص قوله ،وإنما تكشف عما يسكت عنه النص أو يستبعده أو يتناساه، وأيضا القراءة الخلاقة هي التي تتجاوز المنصوص عليه والمنطوق به"(٣)، ودليل بطلان هذه القراءات الحداثية لفهم القرآن الكريم عقلا ونقلا واضح لمن عنده أدنى معرفة بكتاب الله تعالى؛ فلا أطيل بذكره؛ لأنه يتراءى لكل ذي عينين بين ثنايا قولهم،**

---

١ – لذة النص، رولان بارت ، صـ ٥٦، ترجمة د/ منذر عياشي، مركز النماء الحضاري ،دار لوسوي–باريس، ط:١ في ١٩٩٢م. نقلا عنه: ظاهرة إهدار السياق صـ ٤٤

٢ – مفهوم النص صـ ٥٤، الهيئة المصرية العامة للكتاب في ١٩٠م *

٣ – نقد النص، علي حرب، صـ ٢٠.

ولعل في إيراد الضوابط العاصمة للسياق القرآني فيما يأتي رد على تلك المغالاة؛ بل السفه(١) من الحداثيين وغيرهم

١ – السفه عبارة عن خفة تعرض للإنسان من الفرح والغضب فتحمله على العمل بخلاف طور العقل وموجب الشرع (التعريفات للجرجاني ،١٥٨/١.

الفصل الثالث:

ضوابط السياق القرآني بين الإعمال والإهمال

توطئة: بدا واضحا من خلال العرض الموجز السابق: مدى حجية السياق القرآني، وأهميته، ومكانته بين الأصول التفسيرية، لبيان النص القرآني، أو الترجيح به من بين الأقوال التفسيرية، إلا أن هذه الأهمية وتلك الصدارة لا تتأتى إلا بضوابط، ارتضاها جمهور العلماء فكانت لتفسيرهم درعا واقيا، وحصنا آمنا، وأهدرها آخرون-إفراطا أو تفريطا- فكانت منزلقا خطيرا، ومستنقِعا آسنا؛ لتبرير وتمرير مذهب مخالف، أو ركوب فكر معارض، وقد تنوعت هذه الضوابط ما بين كونها ضوابط ضامنه لذاتية السياق، أي: بمعنى كونها صالحة في ذاتها لأن تكون ضوابط سياق، وما بين ضوابط لبيان النص القرآني بالسياق، وضوابط مرجحة قولا تفسيريا على قول آخر بقرينة السياق، ولا يعنى هذا بالضرورة انفراد كل نوع بضوابط محددة؛ فقد تتداخل الضوابط لنوع واحد. وسيقتصر الحديث على مطلبين: الأول: أوْلى الضوابط لسياق آمن، والتي بهدرها يصبح التفسير بالسياق عملا مذموما، وسأجعل الأصل عمل الجمهور، ثم أبين خطر إهداره عند المغالين.

الثاني: ذكر نماذج تطبيقية حاكمة لإعمال السياق أو هدره

المبحث الأول: أهم ضوابط السياق القرآني، وموقف المغالين منها

الضابط الأول: مراعاة التفسير بالسياق لمقاصد القرآن ومعهوده، وهو ضابط عاصم من الوقوع في الخطأ في التفسير، قال الآمدي-رحمه الله" دلالات الألفاظ ليست لذواتها بل هي تابعة لقصد المتكلم وإرادته(١) وقد اعتمد هذا الضابط جمهور المفسرين، ولعلي لا أكون مبالغا إذا قلت إن جل انحرافات المدارس التفسيرية قد جاءت من إهمالها أو عدم وقوفها على هذا الأصل وذلك الضابط، ولعله من نافلة القول ذكر أن الشريعة الإسلامية وعلى رأسها مصدرها الأول قد بنيت على مصالح البلاد والعباد كما أن "من التكاليف الشرعية ما قد يبدو فيه حرج وإضرار للمكلفين، وتفويت مصالح عليهم، كتحريم شرب الخمر، وتحريم بيعها، ولكن المتدبر إذا تدبر في تلك التشريعات ظهرت له مصالحها في عواقب الأمور"(٢) ولكل متكلم من كلامه مقصد وغاية، وهو بلا شك يود من مخاطبيه الوقوف على تلك المقاصد، وهذا في كلام كل متكلم؛ فكيف بكلام الله؛ رب العالمين، وهذا أمر فطري، كما أن اشتمال الشريعة على الحكم والمقاصد مما أجمعت عليه الأمة ،يقول الآمدي-رحمه الله" إن أئمة الفقه مجمعة على أن أحكام الله-تعالى- لا تخلوا عن حكمة ومقصود"(٣)، وقد تبين بذلك أن معرفة معهود المتكلم ومقصده من كلامه ضرورة فكرية للوقوف على مراده من كلامه؛ وبخاصة إذا كان المتكلم هو الله-تعالى

---

١ – الإحكام في أصول الأحكام للآمدي ٣٥/١.

٢ - مقاصد الشريعة الإسلامية، محمد الطاهر بن عاشور، صـ ١٤، دار السلام-مصر، ودار سحنون-تونس: ط: ٥ في ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م

٣ - الإحكام في أصول الأحكام للآمدي ٢٥٠/٣

موقف المغالين في السياق من فهم القرآن بمقاصده، وقف المغالون حجر عثرة بين القرآن ومقاصده مجردين إياه من هذه المقاصد؛ فالعقلانيون حاولوا تجريد بعض آيات القرآن من مقاصدها لمجرد أنها لا تخدم مذهبهم؛ كردهم الآيات الواردة في رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة، وكنزول الملائكة لتأييد المؤمنين، وأما أصحاب المدرسة الحداثية؛ فهم يرون أن" النص لا ينطوي ولا بأي شكل كان على كائن سابق أو لاحق على كتابته"(١) ولا يقفون عند حد عدم الاعتناء بمقاصد القرآن بل يرون أن النص وقراءته شيئان منفصلان(٢) وهم لا يبغون فهم النص القرآني والوقوف على مقاصده بسياقه المعهود بل يبغون هدم النص ذاته بالسير به نحو قراءة متحررة من كل القيود، قال حامد أبوزيد: التأويل هو الذي يمثل الوجه الآخر للنص في فهمنا المعاصر(٣) ويقررون-زاعمين- أن القرآن نص ناقص، وهم بقراءاتهم يتمون هذا النقص، يقول أحدهم: القراءات المهمة للقرآن ليست هي التي تقول لنا ما أراد النص قوله، وإنما تكشف عما يسكت عنه النص، أو يستبعده، أو يتناساه، وأيضا القراءة الخلاقة هي التي تتجاوز المنصوص عليه والمنطوق به (٤) بل صرح أبوزيد بأن الأولى: ترك النصوص الشرعية مطلقا لأنها-من وجهة نظرة-

---

١ – موت المؤلف نقد وحقيقة ، رولان بارت صـ ٢٠

٢ –لذة النص بارت ٦٢

٣ – مفهوم النص دراسة في علوم القرآن ، حامد نصر أبو زيد صـ ٢٤.

٤ – نقد النص صـ ٢٠

تكبل العقل؛ فيقول: لا خلاص إلا بتحرير العقل من سلطة النصوص الدينية وإطلاقه حرا (١)

الضابط الثاني: اعتبار فهم النبي- والسلف الصالح لأمر السياق القرآني. ،لا يخفى أن اعتبار النبي-صلى الله عليه وسلم- لأمر السياق وبخاصة عند حل المشكلات وتوضيح المبهمات يعد من أقوى البراهين الدالة على الاعتداد به، والأمثلة على ذلك كثيرة، ومن ذلك دفع الإيهام الوارد عند السيدة عائشة-رضي الله عنها-حول معنى قول الله- تعالى{والذين يُؤْتُونَ مَآ آتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ }(٢)؛ فتوجهت بسؤال دار في خلدها، وقد يدور في خلد كثير من المتلقين قبل بيان النبي-صلى الله عليه وسلم- فقالت: أهم الذين يشربون الخمر، ويسرقون ؟ قال" لا يا بنت الصديق، ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون، وهم يخافون ألا تقبل منهم، وقال:{أولئك يُسَارِعُونَ فِي الخيرات وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ}(٣)، وكما يجب اعتبار ما بين الرسول-صلى الله عليه وسلم- به الآيات بسياق قرآني يجب أيضا اعتبار فهم الصحابة- رضي الله عنهم- لسياقات الآيات؛ وذلك لما حبا الله به الصحابة من دقة الفهم ورجاحة العقل وصائب النظر في آيات القرآن ومع ما اختصهم الله- تعالى-به من مصاحبة رسوله الكريم-، ومعاينة قرائن الأحوال المعينة على الفهم والبيان كل ذلك وغيره جعل الأولوية والتقدمية لفهم الصحابة

١ – الخطاب والتأويل صـ ١٤٣

٢ – سورة المؤمنون من الآية ٦٠

٣ – سورة المؤمنون من الآية ٦١ وانظر: سنن الترمذي ، ح: ٣١٧٥

لسياقات القرآن الكريم، لذا كان لفهمهم القرآن بسياقاته الأوْلَوية والرجحان، وقد صار على هذا المنهج جمهور العلماء وخالف في ذلك من وجَد في فهم الصحابة مخالفة لمبادئه أو فكرة حتى ولو صح عنهم، وكيف لا يكون الصحابة–رضي الله عنهم– أفهم الخلق لنص القرآن بما يحيط به من سياقات مقالية ومقامية وهم من عايشوا زمن نزول القرآن وشاهدوا أسباب نزول آياته ووقفوا على مقاصدها، مع ما خصهم الله به من حرص على فهم القرآن وتطبيقه، وغوص في لغة القرآن ودقائقها

<u>موقف المغالين من فهم السلف للقرآن الكريم</u>. ، وقف العقلانيون من الأحاديث وأقوال السلف التي تعارض مبادئهم موقف المناهض، وردوها أو أوَّلوها تأويلا بعيدا عن سياقها المتبادر، أما الحداثيون فلم يجدوا فضلا للسلف في فهم للقرآن الكريم، بل وقفوا يجابهونه، بل ويعدُّون الوقوف عنده من الخطأ الذي ينبغي التخلص منه، وعدوا ذلك من الحجْر الذي ينبغي هجره وهدره؛ فهم يعلنون فهم النص في سياقه الحاضر تبعا لقارئه، ويسعون من وراء ذلك إلى تطور الفهم وعدم الوقوف به عند زمن محدد حتى، وإن كان قد صح عن الصحابة، بل وأجمعوا عليه، وذلك لإيمانهم بنسبية المعرفة حتى وإن كانت قطعية الدلالة(١)، يقول أركون: القرآن نص مفتوح على جميع المعاني ولا يمكن لأي تفسير أو تأويل أن يغلقه أو يستنفذه بشكل نهائي(٢)، وهم بذلك لا يعولون على تفسير النبي–صلى الله عليه وسلم–والصحابة والسلف

---

١ – راجع: تحديث الفكر الإسلامي، عبدالمجيد الشرفي، صـ ٥٥، ط ٢، في ٢٠٠٩ م.

٢ – تاريخية الفكر العربي الإسلامي، صـ ٤٥

الضابط الثالث: مراعاة حال المخاطبين ومعهود لغتهم وثقافتهم: يعد هذا الضابط محور الضوابط كلها لما له من أثر فعال في فهم النص القرآني بسياقاته؛ فقد صاحب نزول القرآن الكريم ملابسات وقرائن أعانت على بيانه وفهمه عند المتلقين؛ فكان من الضروري عند من أتى بعدهم وقوفهم على حال من نزلت عليهم الآيات، ومدى فهمهم لها بقرائنها المعهودة لديهم.؛ فما كان من أعراف أو أسباب خاصة، أو ملابسات صحبت صدور النص مقصودة للشارع فهي معتبرة في تفسير مساق النص، وما لم يقدرها الشارع فلا يمكن أن تكون مقصودة من مساق النص(١)، ويصرح مجاهد-رحمه الله-بحرمة الخوض في تفسير آيات القرآن لمن لم يقف على لغات العرب ودقائقها؛ فيقول "لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالما بلغات العرب"(٢)، وينقل عن مالك بن أنس-رحمه الله-قوله:" لا أوتى برجل يفسر كتاب الله غير عالم بلغة العرب إلا جعلته نكالا"(٣)، ويؤكد الشافعي-رحمه الله-على هذا المعنى قائلا: " إنما خاطب الله العرب بلسانها على ما تعرف من معانيها(٤)، ويرى الطبري-رحمه الله- ضرورة " أن تكون معاني كتاب الله-تعالى- المنزل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم-لمعاني كلام العرب موافقة، وظاهره لظاهر كلامها ملائما، وإن باينه

---

١ – نظرية السياق ، صـ ٧٥-٧٦

٢ – البرهان في علوم القرآن ، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، ٣٠٩/١ .

٣ – المرجع السابق نفس الجزء والصفحة.

٤ – الرسالة للشافعي؛ محمد بن إدريس، صـ ٥٢.

كتاب الله بالفضيلة التي فضل بها سائر الكلام والبيان"(١) ويجعل الشاطبي–رحمه الله الوقوف على معهود لغة العرب لفهم القرآن بسياقاته من المسلمات؛ فيقول:" لابد في فهم الشريعة من اتباع معهود الأميين وهم العرب الذين نزل القرآن بلسانهم؛ فإن كان للعرب في لسانهم عرف مستمر، فلا يصح العدول عنه في فهم الشريعة"(٢)، والآيات شاهدة على نزول القرآن بلغة العرب(٣)، وقد أمرنا باتباع القرآن، ولا يتأتى الاتباع إلا بفهم لغته، ومن القواعد المقررة: أن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب

<u>موقف المغالين من هذا الضابط</u>، لم يعبأ الحداثيون بهذا الضابط؛ لأنهم لم يعولوا كثيرا على فهم من نزل القرآن عليهم، بل عدوا أن الوقوف على هذا الفهم قصور ينبغي التخلص منه؛ فيرى أركون: أنه من الحيوي بالنسبة للإسلام المعاصر أن يستبدل استغلال الماضي ايدلوجيا(أي التراث أو الإرث الثقافي والديني للإسلام) بتعقل واستيعاب دقيقين لما يقدمه الفكر الحديث من مقدمات وآليات منهجية علمية في التعاطي مع الأسئلة المثارة والمطروحة على هذا الماضي في صيرورة تعقلية له–دون تحميله قدسية

---

١ – جامع البيان للطبري ١٢/١

٢ – الموافقات للشاطبي ٨٢/٢

٣ – ومن هذه الآيات: قوله تعالى{ وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ} سورة الشعراء الآيات ١٩٢–١٩٥، وقوله–سبحانه: { إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} سورة الزخرف الآية ٣، ومن اللائق معرفة أن الآيات جاءت في معرض المدح والامتنان

تعيق صيرورة التعقل هذه(١)، وهم يسعون بكل ما أوتوا إلى فهم النص في زمن قراءته، مع قطع صلته عما فهمه به السابقون من سلف الأمة .

الضابط الرابع: معرفة حدود إعمال العقل في فهم الآيات القرآنية؛ بسياق معتدل المتأمل يجد أن الناس أمام العقل أنواع ثلاثة؛ طرفان مغاليان، ووسط معتدل؛ فطرف أهملوا العقل وعطلوه بل جحدوه، وطرف عظموه وقدموه بل قدسوه، والوسط هم المعتدلون الذين استضاءوا بنور القرآن؛ فأعملوا عقولهم فيما أمروا به من النظر والاعتبار والتدبر ؛ دون إقحام العقل فيما لا مجال له فيه، فلم يعطلوا ولم يقدسوا فأراحوا عقولهم واستراحوا من عناء بحث لا طائل منه

موقف المغالين من هذا الضابط: الأصل أنه لا تعارض بين ما أتت به النصوص وبين ما تستنبطه العقول، وأن العقل والنقل القطعيان لا يتعارضان، ولا يتصور ثبوت التعارض بينهما، لكن لا بد من إدراك حدود العقل في إعمال النص، فإعطاؤه الحرية الزائدة هو الذي يفضي إلى إخراج النص من حدوده، قال ابن القيم –رحمه الله–ما عارض أحد الوحي بعقله إلا أفسد الله عليه عقله حتى يقول ما يضحك العقلاء"(٢) ولو تأملنا في نتاج العقلانيين والحداثيين لظهر لنا جليا أن منشأ ذلك كان من التوسع

---

١ – بحث (نماذج من أشكال الخطاب حول الحداثة في السياق العربي الإسلامي، للباحث: جمال الدين بن عبد الجليل، الغد العدد الأول في مايو ٢٠٠٣م

٢ – انظر الدور المنير على التفسير ٨٨/٤، جمع : علي الصالحي ، مؤسسة النور ومكتبة السلام ، نقلا عن: الاتجاهات المنحرفة في التفسير في العصر الحديث صـ ٢٦٨، تأليف :د عادل بن علي الشدي ، مدار الوطن للنشر، الطبعة الأولى

في إعمال العقل في نصوص القرآن وإطلاق الحرية له بغير ضوابط ؛ الأمر الذي جعل من المسلمات مرتعا للجدل العقيم، وحوَّل كثيرا من الثوابت إلى مهاوي للزيف والشك؛ حتى أربك العقل ذاته؛ بتحميله ما لا يحتمل؛ فنتج عن ذك عقولا مشوشة، وأفكارا مضطربة، وأقوالا متضاربة.

الضابط الخامس: الجمع بين جناحي السياق عند التفسير به: تفطن المفسرون إلى عناصر السياق؛ اللفظية والمقامية وأثرها في تحديد المعنى أو رجحانه على غيره، قبل أن تتبلور عند الحداثيين بسياق النص(سياق المقال)، وسياق الموقف(سياق المقام)، وشواهد ذلك كثيرة جدا، ولعل أبرزها: دراستهم للقرائن المخصصة للعام، والمقيدة للمطلق... والاهتمام بسياق المقام بالإضافة إلى سياق اللفظ ضروري للوصول إلى المعنى الدقيق، لأن الكلمة إذا أخذت منعزلة عن السياقين؛ اللفظي والحالي، لا معنى لها ولا قيمة، أو هي محتملة لصنوف من المعاني(١) ولا يستقيم التفسير بالسياق القرآني إلا بالجمع بين جناحي السياق؛ إذ في إهمال أحدهما خلل يستحيل معه استقامة المعنى؛ " فالجمع بين سياق النص وسياق الموقف من أهم طرق التوصل لإعمال دلالة السياق على وجه صحيح لأن معنى الخطاب الشرعي لا يستقيم بإدراك أحدهما دون الآخر"(٢)؛ فلا يمكن فهم النص بمنأى عما يحيط به من عناصر مقالية ومقامية توضح المراد،" وإذا كان العلماء أخذوا على المدرسة الظاهرية، وبعض أتباع المدرسة الحديثة القصور في مراعاة السياق، ولا سيما سياق

١ – راجع: الرسالة للشافعي ٢٩٣-٣٠٢ ..

٢ – انظر: نظرية السياق صـ ١٧٣

الحال، فإنه في المقابل لا يتوسع في ذلك بلا ضوابط فالتوسع في سياق المقام على حساب سياق المقال لا يبقي للنص المنزل قدسية وفوقية، كما هو الحال في الدراسات الغربية التي تخضع النصوص المنزلة للنقد والمراجعة كأي نص أدبي(١)

<u>موقف المغالين من هذا الضابط</u>:، يحاول الحداثيون في كل موقف إظهار عنايتهم بالسياق، بل يتفاخرون بأنهم الرواد في هذا المجال، والمدقق النظر في قراءاتهم للنص(القرآن الكريم) تحت مظلة السياق يدرك أنهم في الحقيقة يبذلون قصارى جهدهم في قطع الصلة بين اللفظ وبين ما ينتجه بالسياق من معنى، لأنهم يبحثون عما سكت عنه اللفظ أو تناساه وليس ما أفاده المعنى من اللفظ بسياقاته، وصولا منهم إلى تهميش المؤلف- الله جل شأنه- أو اعتبار موته(٢)-عاملهم الله بما يستحقون. وقد أدى ذلك إلى هدم السياق المقالي؛ بنزع القداسة عن القرآن، وتوجيه النقد إليه، واعتباره نصا منفتحا متعدد الفهم حسب البيئات والأشخاص دون ضوابط محددة، وجاء هدم السياق المقالي بهدم القرائن المعينة على بيان النص كنصوص السنة والعرف عند المخاطبين. والقرائن المقامية لا يمكن حصرها في جنس ولا ضبطها بوصف، وذلك لتعدد

---

١ – ظاهرة إهدار السياق في الخطاب الحداثي (دراسة تحليلية نقدية) ، د/ سعد بن مقبل بن عيسى الحريري ، صـ ١٤.

٢ – راجع: ظاهرة التأويل الحديثة في الفكر العربي المعاصر، صـ ٣٤٤ ، خالد عبدالعزيز السيف.

مآخذها، وارتباطها بما هو غير محصور ولا مضبوط من أسباب ومقاصد وعادات(١)

الضابط السادس: حمل بيان النص على سياقه القريب، وعدم تحميله ما لا يحتمله

اذا توقف بيان النص على سياقات بعضها أقرب من بعض كان الحمل على السياق القريب أولى من غيره؛ ففي ذلك بيان للمراد داخل المعنى المتبادر، قال الشاطبي-رحمه الله-كلام العرب على الإطلاق لا بد فيه من اعتبار السياق"(٢)، ويأتي دور السياق ليجمع ما تفرق، ويوضح ما أبهم، قال العز بن عبدالسلام-رحمه الله-" إذا احتمل الكلام معنيين وكان حمله على أحدهما أوضح وأشد موافقة للسياق كان حمله عليه أولى"(٣) وعند تنازع سياقين في معنى الآية أحدهما قريب متبادر إلى الذهن والآخر بعيد وإن كانت الآية تحتمله- فالأولى حمله على سياقه القريب، وتفسير الآية به، كما إذا تنازعت قرينتان كل قرينة تؤيد قولا رجح أرجح القرينتين وأقواهما. وقد ذكر هذه القاعدة وصرح بمضمونها كثير من المفسرين؛ منهم: ابن جرير الطبري(٤)، والبغوي(٥)، وابن عطية(٦)،

---

١ – ظاهرة إهدار السياق في الخطاب الحداثي صـ ١٤، نقلا عن: القرائن عند الأصوليين، محمد المبارك، ١٦١/١

٢ – الموافقات للشاطبي٤٩١/٢، تحقيق: مشهور بن حسن آل سليمان.

٣ – الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز، للعز بن عبد السلام، صـ ٢٢٠.

٤ –راجع: جامع البيان، ١٩/١٧

٥ –راجع: معالم التنزيل، ٣٥٦/٦

٦ – راجع: المحرر الوجيز، ٢٩٥/١

والرازي(١) والقرطبي(٢) وأبو حيان(٣)، ولا يعني تعدد الأقوال التفسيرية في بيان اللفظ القرآني أن الفهم مجال مفتوح بلا ضوابط، وأن البيان أمر نسبي حسب الأشخاص والبيئات كما يرى الحداثيون؛ فهذا إطلاق للعقول بلا ضوابط؛ بل السياق من الضوابط المحصنة والموصلة للمراد من النص، وفي ذلك إبطال لدعوى نسبية التأويل، وعدم نهاية فهم النص حتى وإن ورد في ذلك إجماع(٤)، ولما كان التفسير بالسياق من التفسير الاجتهادي صار به البعض في طريق بعيد عن صوابه خدمة لمذهب أو فكر، وحملوه فوق ما يحتمل.

<u>الضابط السابع: وضوح الارتباط بين الدلالة والاستدلال عند التفسير بالسياق:</u> حتى يسلم التفسير من الخلل وبخاصة إذا كان طريقه السياق؛ فلابد من وجود صلة وثيقه بين صحة الدلالة في ذاتها وصلاحيتها للاستدلال بها؛ فقد يسلم الدليل ويخفق الاستدلال به لعدم دلالة الدليل عليه، لهوى عند المستدل أو لنصرة مذهب أو تثبيت فكرة، كما قد يكون الاستدلال صحيحا موافقا لصحيح الدين ويكون الخطأ في الدليل إما لعدم صحة الدليل في نفسه وإما لنسخه أو خصوصيته أو تقييده، أو عمومه وهو ما أوقع في الخطأ بل الخطيئة جل التفاسير المخالفة لمذهب السلف المرتكز على صحيح الدين، ومعهود اللغة، بل كانت سببا رئيسا في

---

١ –راجع: مفاتيح الغيب، ١٩٢/٧

٢ –راجع: الجامع لأحكام القرآن ، ٢٩١/٣

٣ – راجع: البحر المحيط ، ٣٨/٣

٤ – راجع: النص السلطة الحقيقية، نصر أبوزيد صـ ١٣٩، وإسلام المجددين ، محمد حمزة ، صـ ٥٦،.

الاختلاف بين المفسرين على وجه العموم، ومن ذلك: تأويلات المعتزلة والخوارج والشيعة لبعض الآيات تأويلا فاسدا أو بعيدا خدمة لمبادئ مذاهبهم ومنها: كفر أصحاب الكبائر أو جعلهم في منزلة بين الكفر والإيمان، وكنفي رؤية الله في الآخرة...([1]) كما جرت عادة الشرع على تخصيص العام في كثير من نصوصه، مثل قصر الوجوب في كلمة {الناس} في قوله تعالى{ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا}([2]) فلا يمكن الاستدلال بهذه الآية على وجوب الحج على الصبيان والمجانين لتقييد عموم لفظ الناس بأدلة أخرى

<u>الضابط الثامن تتبع اللفظ أو الجملة في جميع سياقاتها</u>: من المعلوم أن الكلام لا يتم معناه إلا عند انتهائه، ولا يحاط بمفهومه إلا بالنظر في جميع أطرافه، ولبيان النص القرآني لابد من النظر فيه في مختلف سياقاته؛ فقد يختلف المعنى باختلاف السياق، وقد يتعدد بتعدده. إذ الكلام الواحد يختلف فهمه بحسب حالين وبحسب غير ذلك من الأمور الخارجة ،وعمدتها: مقتضيات الأحوال (٣) وهنا يأتي دور وجوب النظر في جميع أنواع السياق القرآني؛ فلا تعارض بين أنواع السياقات بل تعاضد وتكامل.

---

[1] - والحث لا يحتمل إيراد هذه التأويلات والرد عليها، وقد تولت كتب التفسير والعقيدة وغيرهما الرد على تلك التأويلات الفاسدة

[2] - سورة آل عمران من الآية ٩٧

٣ – انظر الموافقات للشاطبي: ١٤٦/٤.

الضابط التاسع: التأكيد على الصلة السياقية بين النص القرآني وما يراد به من معنى شرعي.

لم يختلف نظر المفسرين للقرآن الكريم على اعتباره نصا مقدسا يراد منه معان شرعية لإصلاح حال المتلقين في الحال والمآل، ويأبى الحداثيون إلا أن يجردوه من معهوده وغايته، وأن يتعاملوا معه بقراءة متحررة بغض النظر عما يراد به من معنى شرعي، قال أركون" القرآن نص مفتوح على جميع المعاني ولا يمكن لأي تفسير أو تأويل أن يغلقه أو يستنفذه بشكل نهائي "(١)، وهم بهذا يرون أن النص القرآني لا يمكن الوقوف على المراد منه بل كل ما قيل فيه صواب لأنه نص منفتح على الجميع، وهو قول غير صحيح لمخالفته ما عليه سلف الأمة وخلفها.

الضابط العاشر: السياق ثابت في كل آية من آيات القرآن ولا يتعارض مع القرائن الأخرى، لا يجوز الخروج بالآية عما دل عليه لفظها وسياقها، ويقرر ذلك صاحب كتاب قواعد الترجيح في قاعدة مهمة فيقول: "كل تفسير ليس مأخوذاً من دلالة ألفاظ الآية وسياقها فهو رد على قائله"(٢). وعليه فيكون السياق أصلاً مطرداً متفقاً مع جميع القرائن والأدلة في الآية، ويتقرر من هذا بأن السياق يأتي في المرتبة الأولى من حيث الاعتبار في معنى الآية، ويكون القول الذي يتوافق مع سياق الآية هو القول الصحيح المعتمد، وقد قرر ذلك الزركشي بقوله: "ليكن محط نظر المفسر مراعاة نظم الكلام الذي سيق له، وإن خالف أصل الوضع اللغوي

---

١ – تاريخية الفكر العربي الإسلامي لمحمد أركون صـ ٤٥

٢– قواعد التفسير عند المفسرين ٣٤٩/٢.

لثبوت التجوز"(١) و"القول الذي تؤيده قرائن السياق مرجح على مخالفه"(٢) ومن المعلوم أن الاختلاف بين المفسرين لم يقف عند حد الاختلاف الدلالي للألفاظ بل يتعداه إلى الاختلاف في تعيين المخاطب والمحذوف وعود الضمائر وغير ذلك؛ لذا تقرر الترجيح حين يتعذر الجمع، ولا يخفى أن إعمال السياق يسهم في القيام بمهمة الترجيح بين الأقوال، وبالتالي، فهو يساعد على انجاز مراجعة شاملة لأقوال المفسرين، ومذاهبهم في التأويل. وعند التأمل الدقيق لا يوجد تعارض حقيقي بين السياق وغيره من القرائن المعينة على البيان كتعارض دلالة السياق مع الحديث أو مع تفاسير جمهور السلف... ،ولذا نجد صاحب قواعد الترجيح يقرر قاعدة الترجيح بالسياق فيقول: "يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص"، ثم يبين المخصص بأنه السياق أو الدليل بقوله: "إلا أن يكون السياق يقتضي تخصيصها حتماً، أو يقوم الدليل على ذلك"(٣)، وقال صاحب رسالة أسباب النزول وأثرها في بيان النصوص: "هل يعد السياق عند العلماء مخصصاً للعام أم لا"؟ ثم يجيب قائلا:" قلما تعرض العلماء لهذه المسألة، ولكن ورد عن الشافعي في الرسالة ما يقتضي التخصيص بالسياق، فإنه بوب على ذلك فقال: (باب الذي يبين سياقه معناه) ثم قال: "وما ذهب إليه قوي؛ لأن السياق نوع من

١- البرهان في علوم القرآن ٣١٧/١.

٢- قواعد الترجيح عند المفسرين ٢٩٩/٢.

(٣) قواعد الترجيح عند المفسرين ٥٢٨/٢.

القرائن، ولا ريب في أن الناس في مخاطباتهم يتركون العام لأجل القرينة الدالة على إرادة الخصوص، والشرع يخاطب الناس بحسب تعارفهم"(١)

<u>موقف المغالين من إعمال هذا الضابط</u>:، لقى السياق من أتباع المدرسة العقلانية والحداثية-مع تنوع اتجاهات أتباعهما- عناية خاصة، فقد فتحوا له الباب على مصراعيه، وقدموه على غيره من قرائن التفسير، ووسعوا دائرة الاستعانة به لأسباب كثيرة تتناسب مع توجهاتهم العامة والخاصة، لعل من أبرزها: أن التفسير بالمأثور لم يكن معولا عليه عند الكثير منهم، وهذا يأذن لهم بالإعراض عن تفسير السابقين، بخاصة المأثور منه، كما أنها أعطت للعقل حرية مطلقة بلا قيود لقراءة النصوص-ومنها القرآن الكريم-قراءة لا متناهية

(١) أسباب النزول وأثرها في بيان النصوص، ص٤١٨.

المبحث الثاني: نماذج حاكمة للتفسير بالسياق بين الانضباط والانفلات

من خلال مطالعتي لكثير من الأقوال التفسيرية لأصحاب المدرستين: العقلية والحداثية تبين لي أن السبب الرئيس في انحرافهم مجتمعين: أنهم نصَّبوا عقولهم حكما دون منازع ولا رقيب من شرع أو لغة، واعتقدوا أولاً، ثم ذهبوا يحرفون الكلم عن مواضعه تارة، ويلوون أعناق النصوص تارة أخرى حتى توافق ما اعتقدوه بعقولهم وآرائهم، وراحوا في سبيل ذلك يهدرون السياق القرآني تارة، ويسيرون به في طريق مخالف تارة أخرى. وأُورِد-زيادة على ما سبق- بعض الأمثلة الحاكمة للسياق القرآني، والمترتبة على المنهج العقلي بضوابط المعتدلين وموقف أصحاب المدرستين: العقلية، والحداثية منها:

النموذج الأول: أثر السياق القرآني في إثبات صفات الله-تعالى،

يتوقف إيمان العبد بالله-تعالى-على الاعتقاد التام باتصافه-سبحانه-بكل كمال، وتنزهه عن كل نقص. ويعني هذا: اعتقاد العبد انفراد الله-تعالى- بالكمال المطلق من جميع الوجوه بنعوت العظمة والجلال والجمال، وذلك بإثبات ما أثبته الله-سبحانه وتعالى لنفسه، أو أثبته له رسوله-صلى الله عليه وسلم-من الأسماء والصفات، ومعانيها وأحكامها الواردة في الكتاب والسنة(١).ومن المعلوم بنص القرآن والسنة وإجماع المسلمين: أن الله تعالى يتكلم متى شاء، على الوجه اللائق بجلاله

١ - أصول الدين عند أبي حنيفة ، تأليف: محمد الخميس . صـ ٢٨٣.

تعالى–وقد غالت في باب الأسماء والصفات فرق كثيرة، ووقف أهل السنة موقف الاعتدال والإثبات.، ومثال ذلك: المذاهب والأقوال الواردة في المراد بقول الله–تعالى–{وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا}(١)، فلا يجوز أبداً أن يقال: إن الكلام في هذه الآية مجازي، لأن الفعل (كلَّم) أُكِّد بالمصدر (التكليم) الدال على النوع، وقد نقل أبو جعفر النحاس إجماع النحاة على أن الفعل إذا أكد بالمصدر لم يكن مجازاً، بل هو حقيقة قطعاً وكيف وقد قال تعالى: {وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ}(٢)، وقد أول العقلانيون الآية بعيدا عن سياقها ومقصدها خدمة لعقولهم التي لم ترتض ما ذهب إليه الجمهور من العلماء لموافقته مقاصد الشرع وصحيح اللغة. وقد حاول العقلانيون (المعتزلة)تنزيه الله–تعالى–فوقعوا–لفرط تقديم العقل–في التعطيل، مؤولين الآيات بعيدا عن سياقها الشرعي واللغوي، وممن عرض لشبهاتهم وردها فأجاد: الشاطبي–رحمه الله–؛ جاء عنه في الاعتصام: أن جماعة زعموا أن القرآن مخلوق تعلقا بالمتشابه والمتشابه الذى تعلقوا به على وجهين عقلي – في زعمهم–وسمعي فالعقلي أن صفة الكلام من جملة الصفات وذات الله عندهم بريئة من التركيب جملة وإثبات صفات الذات قول بتركيب الذات وهو محال لأنه واحد على الإطلاق فلا يمكن أن يكون متكلما بكلام قائم به كما لا يكون قادرا بقدرة قائمة به أو عالما بعلم قائم به–إلى سائر الصفات، وأيضا فالكلام لا يعقل إلا بأصوات وحروف وكل ذلك من صفات المحدثات والباري تنزه عنها وبعد هذا الأصل يرجعون إلى تأويل قوله

١– سورة النساء من الآية ١٦٤

٢ – سور الأعراف:١٤٣

سبحانه {وكلم الله موسى تكليما} وأشباهه، وأما السمعي فنحو قوله تعالى { الله خالق كل شيء}، والقرآن إما أن يكون شيئا أو لا شيء ولا شيء عدم والقرآن ثابت هذا خلف وإن كان شيئا فقد شملته الآية فهو إذا مخلوق,. وبعد أن عرض –رحمه الله لشبهتهم ، أجاب بما موجزه: أنهم قاسوا الباري على البرية ولم يعقلوا ما وراء ذلك فتركوا معانى الخطاب وقاعدة العقول؛ أما تركهم للقاعدة فلم ينظروا في قوله تعالى {ليس كمثله شيء}، وهذه الآية نقلية عقلية لأن المشابه للمخلوق في وجه ما مخلوق مثله إذ ما وجب للشيء وجب لمثله فكما تكون الآية دليلا على نفى الشبه تكون دليلا لهولاء لأنهم عاملوه في التنزيه معاملة المخلوق حيث توهموا أن اتصاف ذاته بالصفات يقتضى التركيب، وأما تركهم لمعاني الخطاب فإن العرب لا تفهم من قوله {السميع البصير} و{السميع العليم} أو{القدير} وما أشبه ذلك –إلا من له سمع وبصر وعلم وقدرة اتصف بها فإخراجها عن حقائق معانيها التي نزل القرآن بها خروج عن أم الكتاب إلى اتباع ما تشابه منه من غير حاجة.، وأما الشبهة السمعية فكأنها عندهم بالتبع لأن العقول عندهم هي العمدة المعتمدة ولكنهم يلزمهم بذلك الدليل مثل ما مر والله لأن قوله تعالى {الله خالق كل شيء} إما أن يكون على عمومه لا يتخلف عنه شيء اولا فإن كان على عمومه فتخصيصه إما بغير دليل– وهو التحكم– وإما بدليل فأبرزوه حتى ننظر فيه(١).

ولم يكتف الحداثيون عند حد التأويل الفاسد لبعض صفات الله–تعالي بل وصل التطرف والغلو بهم إلى عدم الاكتراث بالغيبيات مطلقا، معلنين–

١ – : الاعتصام . للشاطبي، المؤلف: أبو إسحاق الشاطبي،٢٤٢/١.

سفها بغيرعلم-أن الكفر بها لا ينقص من قدر المسلم!! مع أن الإيمان بما أخبر الله-تعالى- به من غيبيات ركن من أركان الدين لا يصح إلا به. يقول حسن حنفي: يمكن للمسلم المعاصر أن ينكر الجانب الغيبي في الدين ويكون مسلماً حقاً في سلوكه "(١) وهي مخالفة صريحة لآيات القرآن ومقاصده؛ فالله-تعالى-جعل الإيمان بالغيب جزءا أصيلا من الإيمان به، قال سبحانه{الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}(٢)؛ فالله-تعالى قد جعل المؤمنين بالغيب مهديين مفلحين، وبمفهوم المخالفة: أن من لم يؤمن بالغيب ضال وخاسر. وقد امتد نكرانهم وجحوده إلى مخلوقات ومعان أخبر بها القرآن الكريم صراحة، يقول حنفي-أيضاً-ألفاظ الجن والملائكة والشياطين، بل والخلق والبعث والقيامة: ألفاظ تتجاوز الحس والمشاهدة، ولا يمكن استعمالها، لأنها لا تشير إلى واقع، ولا يقبلها كل الناس(٣)، وفي هذا-أيضا- مخالفة صريحة للقرآن والسنة والإجماع؛ إرضاء لعقولهم الشاذة.

<u>النموذج الثاني: إهمال السياق؛ مؤداه إلى تأويل فاسد</u>: وضْعُ السياقِ في موضعه اللائق به يؤدي إلى تفسير صحيح، وقد حرص المفسرون على ذلك؛ فجاءت تفاسيرهم صحيحة ومقبولة، وقد منيت الأمة بمن دخل

---

١ – قضايا معاصرة: ص٩٣

٢ – سورة البقرة الآيات من ٣ إلى ٥

٣ – التراث والتجديد: ص ١٠٣

إلى تأويل الآيات بعقائد وأفكار مريدا حمل الآيات عليها، مهدرا السياق أو ذاهبا به بعيدا عن المراد منه، ومن ذلك ما جاء من تفسير لقول الله- تعالى-{فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ}(١)، والمفسرون من أهل السنة على أن العمى المراد به في الآية عمى القلوب عن التدبر في ما يجب التدبر فيه، قال ابن عباس ومقاتل: لمّا نزل {ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى} جاء ابن أم مكتوم إلى النبي- صلى الله عليه وسلم- باكياً فقال: يا رسول الله أنا في الدنيا أعمى أفأكون في الآخرة أعمى؟ فأنزل الله سبحانه وتعالى هذه الآية(٢). وقال ابن كثير-رحمه الله-: " ليس العمى عمى البصر, وإنما العمى عمى البصيرة, وإن كانت القوة الباصرة سليمة فإنها لا تنفذ إلى العبر ولا تدري ما الخبر"(٣) وأكد الله تعالى هذا المعنى بقوله:{التي في الصدور}، قال البيضاوي-رحمه الله- وذكر الصدور: للتأكيد ونفي التجوز، وفضل التنبيه على أن العمى الحقيقي ليس المتعارف الذي يخص البصر(٤)كما أن في الوصف تعريض بالمشار إليهم لعدم استعمالهم نعم الله فيما خلقت له، ومع هذا البيان الواضح الدلالة المؤيد بأقوال السلف والموافق للسياق إلا أن الحداثيين يبغون هدر السياق المباشر والذهاب به نحو تأويل بعيد أو فاسد؛ فيقول أحدهم: فهنا الصدور لا تعني صدر الإنسان الذي يحتوى

---

١ – سورة الحج من الآية٤٦

٢ – الكشف والبيان، المؤلف: أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري، ٣٧/٧.

٣ – تفسير ابن كثير ٤٣٨/٥.

٤ – تفسير البيضاوي، ١٣١/٤.

على العضلة القلبية...وتعني الناس الذين يشغلون مواقع الصدارة في المجتمع"(١) ولم أقف على أحد من المفسرين قال بهذا، وهو قول لا يخدمه نص من شرع أو لغة، وهذا القول مرجعه الأوحد هو إعمال العقل وتقديمه دون مستند. كما أن في النص بهذا الفهم هدر للسياق المقالي حيث إن الآية صدرت بقول الله-تعالى {أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ}(٢)، والسياق يقتضي أن الحديث جار في الحواس وكيفية الاستفادة منها، وهي ليست قاصرة على أهل الصدارة فحسب، كما أن في فهم الحداثيين هدر للسياق المقامي المتمثل في بيئة النزول، وفهم الصحابة للآية، وكذا سبب نزول الآية مما يعين على صحة تأويل الجمهور وخطأ تأويل الحداثيين.

النموذج الثالث: قطع السياق القرآني بجافي المراد والمقصود: قول الله-تعالى {وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً}(٣)، والترتيل في القراءة كما يقول صاحب التبيان:" التبيين لها كأنه يفصل بين الحرف والحرف ومنه قيل ثغر رتل ورتل إذا كان مفلجا لم يلصق بعض الأسنان على بعض ولا يركب بعضها بعضا"(٤)وترتيل القرآن بمعنى قراءته عل مهل مع بيان حروفه وألفاظه هو قول سلف الأمة(٥)، ولم أقف على أحد خالف هذا المعنى، إلا أن

١ – الكتاب والقرآن، د محمد شحرور، صـ ٢٧٣.

٢ – سورة الحج من الآية ٤٦

٣ – سورة المزمل من الآية ٤

٤ – التبيان في تفسير غريب القرآن، المؤلف : شهاب الدين أحمد بن محمد الهائم المصري ، ٤٣١/١.

٥ – راجع على سبيل المثال :جامع البيان للطبري ١٧٠/٢٤ وما بعدها

الحداثيين يبغونها ملتوية؛ بتحكيمهم العقل فيما هو منصوص عليه، قاطعين بذلك بين الآية وسياقها المقالي والمقامي ؛ فيقول شحرور معتمدا على عقله ضاربا بأقوال السلف وفهمهم للآية في سياقها عرض الحائط:" لا يمكن أن يكون المقصود في عبارة {وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً} تأنق في تلاوته، ثم يحكم على فهمه البعيد بسياق أكثر بعدا؛ فيقول: لأن ما جاء في الآية التالية{إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا}(١) لا يرتبط من قريب أو بعيد بالتأنق في التلاوة، حيث إن وصف القول بالثقيل، لا يقصد به الثقل في التلفظ والنطق، بل وعورة فهم معنى ما يشتمل عليه القرآن من علم، وإذا كان ذلك كذلك اتضح أن معنى {وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً} هو رتب أو نظم الموضوعات الواحدة الواردة في آيات مختلفة من القرآن في نسق واحد كي يسهل فهمها"(٢)، ولم يقل بهذا-فيما أعلم- أحد من المفسرين، وليس لقائله مستند إلا سلطان العقل وأن كان على حساب مخالفة السياق؛ المقالي حيث إن معنى الترتيل في اللغة هو ما ذهب إليه الجمهور؛ من أن الترتيل يعين على تجويد اللفظ وبيان المراد منه، ويؤيد هذا المعنى قول الله تعالى{وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلا}(٣) قال ابن عباس ومجاهد وابن جريج{عَلَى مُكْثٍ} على ترسل في التلاوة(٤)، وعن حفصة-رضي الله عنها-أن النبي-صلى الله عليه وسلم-كان يقرأ في

١ – سورة المزمل، الآية ٤

٢ – الكتاب والقرآن صـ٢٥

٣ – سورة الإسراء الآية ١٦٠

٤ – الجامع لأحكام القرآن، ٣٩١/١٠

السورة فيرتلها حتى تكون أطول من أطول منها"(١) وفيما ذهب إليه الجمهور تأييد للمعنى بسياقي اللفظ؛ المقالي والمقامي ، "لأن كلام الشارع إذا سيق لمقصوده، فإنه لا يصرف عن مراد الشارع به في سياقه إلى غيره إلا بحجة ظاهرة في السياق، ولأن الأصل بقاء الخطاب على سياقه. فالكلمة لها في سياق معنى، ولها في سياق آخر معنى ثان، ولا يصح أن تعطى في السياقين المعنى نفسه من غير دليل"(٢)

<u>النموذج الرابع: الأحكام التشريعية ثابتة ودائمة:</u> أنزل الله- تعالى- القرآن الكريم مشتملا على الأحكام التشريعية الضامنة للسعادة في الدنيا والآخرة، وكان من الصفات الملازمة لأحكام القرآن: ثباتها ودوامها، ولا خلاف بين المسلمين في أن مصدر جميع الأحكام التشريعية هو الله- تعالى، لا يشاركه فيه أحد من الخلق، وأن طريق معرفة ذلك هو القرآن والسنة، وفي ذلك ضمان لحرية الإنسان وكرامته. أما إعطاء سلطة التشريع والأمر لأحد من الناس فهو لون من الإشراك، وطريق يؤدي إلى الاستبداد في الأحكام، وأدلة استقلال الله-تعالى بالأحكام كثيرة منها: قوله تعالى: {إنِ الحكم إلاّ لله }(٣)، وقوله تعالى: {إنَّ الأمر كله لله }(٤) وقوله: {وأنزلنا إليك الكتاب، بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه، فاحكم بينهم بما أنزل الله، ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من

---

١ – أخرجه مسلم-رحمه الله-كتاب صلاة المسافرين باب: جوا النافلة قائما وقاعدا، تحت رقم: ١٢١٢

٢ – ظاهرة إهدار السياق في الخطاب الحداثي ، صـ ١٣٠

٣ – سورة يوسف من الآية ٤٠

٤ – سورة آل غمران من الآية ١٥٤

الحق}(١)، وكما اختص القرآن بوضع الأحكام كان للسنة أيضا نصيب من قِبَل القرآن في وضع بعض الأحكام وتقرير ذلك في قوله-سبحانه{وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا}(٢) قال المهدوي-رحمه الله قوله تعالى: {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا} هذا يوجب أن كل ما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم-أمر من الله تعالى والآية وإن كانت في الغنائم فجميع أوامره صلى الله عليه وسلم ونواهيه دخل فيها"(٣)، والحداثيون يرون الأحكام التشريعية نتاج تاريخ مؤقت بزمن معين، ولا يعني ذلك ثباتها ودوامها، وإنما ينبغي تطويرها، حسب المستجدات، وبالقدر الذي يخدم المصلحة، وهذا ما عبر عنه-صراحة-نصر أبوزيد مسقطا مبادئه على قول الله تعالى {للذكر مثل حظ الأنثيين}فقال" فإذا لم يكن المعنى القرآني قد أعطى للأنثى نصيبا محددا في الميراث بعد أن لم تكن ترث أصلا فيجب ألا نقف عند هذا المعنى-النصيب الذي تحدد لها في الآية-، وإنما يجب تجاوز هذا المعنى إلى المغزى: الإنصاف بعد الظلم، لتسير على درب الإنصاف على ما لا نهاية؛ فالمعاني الواردة في النصوص عن المرأة بما في ذلك توريثها نصف نصيب الذكر ذات مغزى يتحدد بقياس طبيعة الحركة التي أحدثها النص، وهي حركة تتجاوز الوضع المتردي للمرأة، وتسير في اتجاه المساواة المضمرة والمدلول عليها في نفس الوقت وليس من المقبول أن يقف

---

١ – سورة المائدة من الآية٤٨

٢ – سورة الحشر من الآية ٧

٣ – الجامع لأحكام القرآن،، ١٧/١٨، المحقق : هشام سمير البخاري،

الاجتهاد عند حدود المدى الذي وقف عنده بالوحي وإلا انهارت دعوة: الصلاحية لكل زمان ومكان من أساسها"(١)؛ فهو ومن على شاكلته يرون: الوقوف بالنص عند سياقه التاريخي لنزوله، وتطوير أحكامه تبعا للظروف البيئية والمصالح الحياتية، وعدم سريان أحكامه في المستقبل، ولا شك أن هذا ضلال مبين، وانتكاسة إلى سجين، ولم يقل بذلك عاقل قبل ذلك فضلا عن عالم بالقرآن ومقاصده؛{سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ}(٢)

١ – نقد الخطاب الديني ،نصر حامد أبوزيد صـ ٢٢٢، ط: دار ابن سينا–القاهرة ، في ١٩٩٢م.

٢ – سورة النور من الآية١٦

خاتمة البحث

الحمد لله في المبتدئ والمنتهى، والصلاة والسلام على خير أولي النهى، وعلى آله وأصحابه ومن بهم اهتدى، وبعد...فلما كان لهذا البحث من هدف يصبو إليه، وكانت رحلته لتحقيق هذا الهدف، فيمكنني الزعم أنني حققت الهدف من البحث أو قاربت، وقد توصلت إلى نتائج وتوصيات، أجمل أوْلاها فيما يأتي:

أولا: أهم النتائج:

١-السياق القرآني قد أسس له القرآن، وأصل له النبي-صلى الله عليه وسلم-، وارتضاه سلف الأمة وخلفها

٢- أن السياق القرآني عند المفسرين يعني: تتابع المعاني المحيطة بالنص-اللفظ أو الآية أو الآيات-من عوامل داخلية وخارجية، لها أثر في فهمه، من سابق أو لا حق به، أو حال من حال المخاطِب، والمخاطبَ، والغرض الذي سيق له، والجو الذي نزل فيه، دون انقطاع

٣- لا يتوقف دور السياق القرآني عند بيان ألفاظ القرآن وآياته بل يتعدى إلى الترجيح بين الأقوال التفسيرية

٤- التوافق بين سياق المقال وسياق المقام، وإعمالهما معا هو الضامن لفهم سليم للقرآن

٥- القاسم المشترك بين العقلانيين في القديم والحديث هو تقديم العقل وتصديره في كل شيء

٦- الحداثيون العرب امتداد للحداثيين الغربيين في الثورة على كل الثوابت ونقدها بل وهدرها

٧- الحداثيون لا يريدون بيان النص القرآني وتأويله، بل هجره والبحث عما سكت عنه.

٨- القراءات المتعددة وغير المنهجية للنص القرآني قد آلت إلى مغالطات كثيرة منها: نقد النص القرآني-خضوع فهم النص القرآني للتاريخ وبيئة المتلقي- كل فهم للنص مقبول- العقل هو الأساس المعول عليه في الفهم-لا علاقة بين النص وقائله

٩- لقبول السياق القرآني في البيان أو الترجيح لا بد من ضوابط تكون بمثابة الدرع الواقي من المغالاة؛ طبقها المعتدلون، وأهدرها المغالون؛ ومنها: مراعاة التفسير بالسياق لمقاصد القرآن، وحال المخاطبين - تقديم فهم السلف للسياق القرآني والبيان أو الترجيح به- التوافق بين سياق المقال والمقام عند بيان القرآن- الأحكام التشريعية ثابتة ودائمة وغير خاضعة لزمن بعينة أو بيئة بذاتها....

ثانيا: أهم التوصيات:

لما كان الموضوع هاما للغاية وهو في ذات الوقت متشعب متوغل في أصول الدين لذا أوصي:

١- المزيد من الاهتمام بالسياق القرآني باعتباره من الأصول التفسيرية والترجيحية

٢-المقارنة بين رموز المفسرين في مدى إعمالهم للسياق مع بيان وجوه التوافق والاختلاف

٣- بيان وجوه هدر السياق عند العقلانيين والحداثيين

المصادر والمراجع

(مرتبة أبجديا دون النظر إلى التخصص أو الأسبقية)

*- القرآن الكريم

١- الاتجاهات العقلانية الحديثة، ناصر بن عبدالكريم العقل، ط: دار الفضيلة –الرياض، الطبعة الأولى، في: ٢٠٠١م.

٢- الاتجاهات المنحرفة في التفسير في العصر الحديث، : د. عادل بن علي الشدي ، مدار الوطن للنشر، في ١٤٣١هـ

٣- الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، دار الفكر –لبنان- ١٤١٦هـ–ط: ١، ت: سعيد المندوب

٤- إحكام الأحكام لابن دقيق العيد، ت: مصطفى شيخ مصطفى ، ط: مؤسسة الرسالة بيروت، ط١، في ٢٠٠٥م

٥- الإحكام في أصول الأحكام، علي بن محمد الآمدي: دار الكتاب العربي–بيروت،ط:١،في١٤٠٤، ت:د/سيد الجميلي

٦- الإحكام في أصول الأحكام، علي بن أحمد بن حزم الأندلسي أبو محمد،: دار الحديث–القاهرة، الطبعة١ ، ١٤٠٤هـ

٧- أحكام القرآن، محمد بن عبد الله الأندلسي (ابن العربي)، الناشر: دار الكتب العلمية

٨- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، محمد بن محمد العمادي ، أبو السعود ، دار إحياء التراث العربي–بيروت

٩- أسس الحداثة ومعوقاتها في العالم العربي المعاصر، مقال للدكتور: عبدالله تركماني على شبكة التواصل الاجتماعي

١٠- إسلام المجددين، محمد حمزة ، دار الطليعة بيروت، الطبعة الأولى في ٢٠٠٧م

١١- الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز، للعز بن عبد السلام، ط: دار البشائر الإسلامية ، الطبعة الأولى في ١٤٠٨هـ

١٢- أصول الدين عند أبي حنيفة، المؤلف: محمد بن عبد الرحمن الخميس، الناشر: دار الصميعي، المملكة العربية السعودية،

١٣- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي، ط: دار الفكر-بيروت – لبنان، ١٤١٥هـ.

١٤- الاعتصام، المؤلف: أبو إسحاق الشاطبي، دار النشر: المكتبة التجارية الكبرى- مصر

١٥- إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية، ت:، طه عبد الرؤوف، مكتبة الكليات الأزهرية القاهرة ١٣٨٨هـ

١٦- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، ابن تيمية، ت:ناصر عبد الكريم العقل، دار عالم الكتب،ط: ٧

١٧- أنوار البروق في أنواء الفروق لشهاب الدين القرافي، تحقيق: منصور خليل، ط: دار الكتب العربية،، في ١٩٩٨م

١٨- بحوث في أصول التفسير ومناهجه للدكتور فهد الرومي

١٩- البحر المحيط في أصول الفقه، الزركشي، ت: محمد تامر،:دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، في١٤٢١هـ

٢٠- البحر المديد، المهدي بن عجيبة ،ط: دار الكتب العلمية . بيروت، الطبعة الثانية في / ٢٠٠٢ م . ١٤٢٣ هـ

٢١- بدائع الفوائد، لابن قيم الجوزية دار الكتاب العربي، بيروت

٢٢- البرهان في أصول الفقه، عبد الملك الجويني،ت: صلاح عويضة، ط: دار الكتب العلمية بيروت،ط:١٤١٨،١هـ

٢٣- البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط:١في ١٩٥٧م، دار إحياء الكتب-الحلبي

٢٤- بنية العقل العربي، محمد عابد الجابري، بيروت، ط: ٤، في ٢٠٠٤م.

٢٥- تاريخية الفكر العربي، محمد أركون، تر: هاشم صالح ، مركز الإنماء القومي ، ط ٢في ١٩٩٦م، بيروت لبنان

٢٦- التبيان في تفسير غريب القرآن، المؤلف : شهاب الدين أحمد بن محمد الهائم المصري، دار الصحابة للتراث بطنطا -مصر، الطبعة الأولى ، في ١٩٩٢، تحقيق: د. فتحي أنور

٢٧- تحديث الفكر الإسلامي، عبدالمجيد الشرفي، طبع: المدار الإسلامي، بيروت، ط ٢، في ٢٠٠٩ م.

٢٨- التحبير في علم التفسير للسيوطي ، تحقيق: فتحي عبد القادر ، ط: دار العلوم- الرياض، الطبعة الأولى في ١٤٠٢هـ

٢٩- التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي الكلبي ، ضبط: محمد سالم: دار الكتب العلمية-بيروت، ط:١ في ١٤١٥هـ

٣٠- التراث والتجديد من العقيدة إلى الثورة، حسن حنفي، المركز الثقافي، بيروت، ط١، ١٤٠٥، تحقيق: إبراهيم الأبياري

٣١- التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، دار سحنون -تونس

٣٢- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، مكتبة عباس الباز مكة ، د.ت

٣٣- التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي الكلبي، دار الكتاب العربي - بيروت، في ١٤٠٢هـ.

٣٤- التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي-بيروت، الطبعة الأولى في ١٤٠٥هـ

٣٥- تفسير البيضاوى، دار النشر: دار الفكر- بيروت

٣٦- تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، تحقيق: سامي السلامة، دار طيبة بالرياض، الطبعة الثانية، في ١٤٢٠هـ

٣٧- تفسير القرآن الكريم للشيخ محمود شلتوت، ط: دار الشروق بيروت، الطبعة ٧، في ١٩٧٩م، ١٣٩٩هـ

٣٨- تفسير الماوردى؛ النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد الماوردي، دار الكتب العلمية-ت: السيد بن عبد المقصود

٣٩- تفسير المنار(تفسير القرآن الحكيم)، محمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة ٢، في ١٤٢٦هـ

٤٠ – التفسير والمفسرون ، محمد حسين الذهبي، مكتبة وهبه، مصر–القاهرة

٤١– التحبير في علم التفسير للسيوطي، ت: فتحي عبد القادر فريد، ط: دار العلوم–السعودية الرياض ط:١، في ١٤٠٢هـ

٤٢– الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله القرطبي، ت: هشام سمير البخاري، ط:دار عالم الكتب، الرياض، في: ١٤٢٣هـ

٤٣– جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، ت : محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة ١، ١٤٢٠هـ

٤٤– الجامع الصحيح سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، دار إحياء التراث العربي–بيروت، مراجعة: أحمد شاكر

٤٥– الجامع المسند الصحيح محمد بن إسماعيل البخاري،: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط:١ في: ١٤٢٢هـ

٤٦– الجواهر الحسان في تفسير القرآن، عبدالرحمن الثعالبي، ت: علي معوض وغيره، ط: دار إحياء التراث العربي ،د.ت

٤٧– الخصائص، المؤلف: أبي الفتح عثمان بن جني، الناشر: عالم الكتب– بيروت، تحقيق: محمد علي النجار

٤٨– الخطاب والتأويل، نصر حام أبوزيد، المركز الثقافي العربي ، بيروت لبنان، ط: ٢ ، في ٢٠٠٥م.

٤٩– دَرْءُ تَعَارُضِ العَقْلِ وَالنَّقْلِ، ابن تيمية ، ت: محمد رشاد سالم، الناشر : دار الكنوز الأدبية – الرياض ، ١٣٩١

٥٠- الدر المنثور، السيوطي في الدر ٧/ ٣٣٠، دار الفكر - بيروت ، ١٩٩٣

٥١- الدراسات القرآنية بالمغرب في القرن الرابع الهجري،، إبراهيم الوافي ، ط: النجاح الجديدة، البيضاء ،ط: ١، في ١٩٩٩م،

٥٢- دلالة الألفاظ، د. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ط٣ ، ١٩٧٦ .

٥٣- دلالة السياق ، ردة الله بن ردة ، مكتبة فهد الملكية- مكة المكرمة ،ط ١، في ١٤٢٤هـ

٥٤- دلالة السياق القرآني في تفسير أضواء البيان، وهي رسالة ماجستير مقدمة للجامعة الأردنية للباحث: سعيد الشهراني

٥٥- دلالة السياق منهج مأمول لتفسير القرآن الكريم لعبد الوهاب أبو صفية الحارثي، عمان، ط:، ١٩٨٩م

٥٦- دلالة السياق وأثرها في دلالة المتشابه اللفظي في قصة موسى عليه السلام رسالة ماجستير للباحث: فهد الشتوي في جامعة أم القرى لعام ١٤٢٦هـ

٥٧- دليل الناقد العربي، الرويلي والبازعي، المركز الثقافي العربي، ط ،٣، الدار البيضاء.

٥٨- الرسالة، تأليف: محمد بن إدريس الشافعي، دراسة وتحقيق: أحمد شاكر، الناشر: مكتبه الحلبي، مصر، الأولى، ١٣٥٨هـ

٥٩- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: محمود الألوسي الناشر: دار إحياء التراث العربي

٦٠- زاد المسير في علم التفسير، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي المتوفى سنة ٥٩٧ هـ، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن عبد الله ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، في: ١٤٠٧ هـ

٦١- سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، محمد بن يوسف الصالحي ،ت: عادل أحمد عبد الموجود، وغيره ، في ١٤١٤ هـ ، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان

٦٢- السياق القرآني واثره في التفسير دراسة نظرية وتطبيقية من خلال تفسير ابن كثير وهي رسالة ماجستير مطبوعة مقدمة لجامعة أم القرى من إعداد الباحث: عبد الرحمن بن عبد الله سرور جرمان المطيري، ، وقد افدت من هذا الرسالة

٦٣- السياق القرآني وأثره في تفسير المدرسة العقلية-للدكتور: سعيد الشهراني، رسالة دكتوراه جامعة أم القرى – مكة ٢٠٠٦هـ

٦٤- السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار لمحمد بن علي الشوكاني تحقيق محمود إبراهيم زايد، ط١-دار الكتب العلمية، ٦٦- شرح القواعد الفقهية للشيخ أحمد بن محمد الزرقا، ط: دار القلم، في: ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م دمشق

٦٥- شرح الكوكب المنير ،ابن النجار ، ت: محمد الزحيلي ، ونزيه حماد، الناشر : مكتبة العبيكان، الطبعة: الثانية، في ١٤١٨هـ

٦٦- شرح مقدمة التفسير لابن تيمية، محمد بن صالح العثيمين، مفرغ عام: ١٤٠٨هـ

٦٧- الصحاح في اللغة، الجوهري، دار العلم للملايين، بيروت- الطبعة الرابعة في ١٩٩٠م.

٦٨- صحيح البخاري، ت: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة، الطبعة : الأولى ١٤٢٢هـ

٦٩- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، ابن حبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسال –بيروت، ط:٢ في ١٤١٤هـ

٧٠- صحيح مسلم ، تعليق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي–بيروت

٧١- الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، المؤلف: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، لناشر : دار العاصمة–الرياض، الطبعة الثالثة ، ١٤١٨ – ١٩٩٨، تحقيق: د. علي بن محمد الدخيل الله

٧٢- ضحى الإسلام ، أحمد أمين، ط: دار الكتاب العربي–بيروت، ط: ١٠

٧٣- ظاهرة إهدار السياق في الخطاب الحداثي (دراسة تحليلية نقدية) ، د/ سعد بن مقبل بن عيسى الحريري ، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، المملكة العربية السعودية، –جدة، الطبعة الأولى في ١٤٣٧هـ- ٢٠١٦م

٧٤- العدة في أصول الفقه، المؤلف : القاضي أبو يعلى ، محمد بن الحسين بن محمد بن خلف ابن الفراء المتوفى: ٤٥٨هـ)، تحقيق:: د

أحمد بن علي بن سير المباركي، الناشر : بدون ناشر، الطبعة : الثانية ١٤١٠ هـ

٧٥- العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب ، محمد حامد الناصر، مكتبة الكوثر-الرياض، ط:١، في ١٤٢٧هـ

٧٦- ظاهرة إهدار السياق في الخطاب الحداثي؛ دراسة تحليلية نقدية، د/ سعد بن مقبل بن عيسى الحريري، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، ط١، في ٢٠١٦م.

٧٧- ظاهرة التأويل الحديثة في الفكر العربي المعاصر، ، خالد عبدالعزيز السيف ، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، جده، الطبعة الأولى في: ١٤٣١هـ

٧٨- العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية ، تأليف: عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني ، تحقيق: أحمد حجازي السقا، مكتب الكليات الأزهري-القاهرة -في ١٣٩٨هـ،ط:١

٧٩- العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: الدكتور مهدى المخزومي الدكتور ابراهيم السامرائي، الناشر: مؤسسة دار الهجرة الطبعة: الثانية في ايران، تاريخ النشر: ١٤٠٩ هـ

٨٠- غمز عيون البصائر في شرح الأشباه والنظائر ، أبو العباس الحموي، دار الكتب العلمية-بيروت، ط: ١، في ١٤٠٥هـ

٨١- فتح الباري شرح صحيح البخاري؛ بن حجر العسقلاني ، الناشر : دار المعرفة - بيروت ، ١٣٧٩،

٨٢- الفكر الإسلامي نقد واجتهاد ، محمد أركون، ترجمة: هاشم صالح، ط: دار السواقي بيروت لبنان، في ١٩٩٨م.

٨٢- الفكر الأصولي واستحالة التأصيل، محمد أركون ، ترجمة: هاشم صالح، دار الساقي بيروت، ط: ١ ، في: ١٩٩٩م.

٨٣- القاموس المحيط للفيروزآبادي، تحقيق: محمد العرقسوسي، مؤسسة الرسالة-بيروت، الطبعة٦، في ١٤١٩هـ

٨٤- قضايا في نقد العقل الديني- محمد أركون - ترجمة: هشام صالح، طبع: دار الطليعة- بيروت، ط:١

٨٥- قواعد التفسير، خالد السبت ،ط: دار عثمان، الطبعة الأولى في : ١٤١٧هـ -١٩٩٧م.

٨٦- القواعد الفقهية ، يعقوب بن عبدالوهاب ، مكتبة الرشد- الرياض في ١٤١٨هـ

٨٧- الكتاب والقرآن، د محمد شحرور، دار الأهالي للطباعة والنشر -دمشق ، د ت

٨٨- كشاف اصطلاحات الفنون ، للتهانوي، بحاشية أحمد حسن ، دار الكتب العلمية-بيروت، الطبعة الأولى، في ١٤١٨هـ

٨٩- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري، تحقيق: عبد الرازق المهدي، دار إحياء التراث العربي، - بيروت.

٩٠- كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي، علاء الدين عبد العزيز بن أحمد البخاري(ت: ٧٣٠هـ)، تحقيق عبد الله محمود محمد عمر. الناشر دار الكتب العلمية- بيروت، في: ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٩١- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، مكي بن أبي طالب، تحقيق: محيي الدين رمضان، ط٤، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٧هـ.

٩٢- الكشف والبيان، المؤلف: أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري، دار النشر: دار إحياء التراث العربي- بيروت - لبنان - ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م،ط:١، تحقيق: أبي محمد بن عاشور، مراجعة: نظير الساعدي

٩٣- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، للمتقي الهندي، الناشر: مؤسسة الرسالة- بيروت في:١٩٨٩م

٩٤- لذة النص، رولان بارت، ترجمة د/ منذر عياشي، مركز النماء الحضاري ،دار لوسوي-باريس، ط:١ في ١٩٩٢م.

٩٥- اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان، مكتبة الثقافة ، الدار البيضاء ، ١٩٩٥

٩٦- اللغة والمعنى والسياق، جون لاينز، ترجمة: عباس صادق عبد الوهاب، الشئون الثقافية- بغداد، ط: ١، في ١٩٨٧م

٩٧- مآلات التأويل بين المدرسة العقلية والحداثية للدكتور: عادل مقراني، بحث في مجلة المعيار، مجلد: ٣٢، عدد:٤٥، لسنة: ٢٠١٨م

٩٨- مجموع الفتاوى لابن تيمية، جمع: عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد، ط: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة في في ١٤٣٥ هـ

٩٩- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز المؤلف : أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، دار النشر : دار الكتب العلمية - لبنان - ١٤١٣هـ . ١٩٩٣م، الطبعة : الأولى، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد

١٠٠- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، المؤلف : محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، الناشر دار الكتاب العربي- بيروت، الطبعة الثانية ،١٣٩٣هـ-١٩٧٣م تحقيق: محمد الفقي.

١٠١- مدارك التنزيل وحقائق التأويل . أبو البركات النسفي، دار النفائس . بيروت ٢٠٠٥، تحقيق : مروان محمد الشعار

١٠٢- مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع-رسالة في العلاقات بين مطالع سور القرآن وخواتيمها، تأليف: الحافظ جلال الدين السيوطي-ت:٩١١هـ، تحقيق: عبدالمحسن العسكر، مكتبة: دار المنهاج للنشر والتوزيع-الرياض

١٠٣-المرايا المحدبة من البينونة إلى التفكيك، سلسلة عالم المعرفة عدد ٢٣٢،صـ ٢٠٩، الكويت ، المجلس الوطني للثقافة والفنون ، في ١٩٩٨م

١٠٤- المستدرك على الصحيحين،: محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، الناشر: دار الكتب العلمية-بيروت، الطبعة الأولى،

١٤١١ هـ تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، مع الكتاب: تعليقات الذهبي في التلخيص

١٠٥- المستصفى للغزالي، ط: دار الكتب العلمية في ١٩٩٣م.

١٠٦- المصطلحات الأدبية الحديثة: لونجمان، ت: محمد عناني، دراسة ومعجم إنجليزي/ عربي، الشركة المصرية العالمية للنشر، الطبعة الثانية، سنة ١٩٩٧

١٠٧- المطالب العالية للرازي، تحقيق: أحمد حجازي السقا، دار الكتاب العربي ، ط:،١، في ١٤٠٧هـ

١٠٨- معالم التنزيل، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي المتوفى ٥١٦ هـ، المحقق : حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر وآخرون، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م

١٠٩- المعجم الأدبي، جبور عبد النور، دار العلم لملايين، بيروت ، (ط٢)، ١٩٨٤م.

١١٠- معجم لغة الفقهاء، جمع : محمد قلعجي، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الثانية: في: ١٤٠٨ هـ

١١١- المعجم الوسيط: إبراهيم مصطفى . وآخرون، ط: دار الدعوة تحقيق: مجمع اللغة العربية

١١٢- مفاتيح الغيب(التفسير الكبير)، فخر الدين الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ

١١٣- مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان داوودي، ط: دار القلم-دمشق، الطبعة٢، في ١٤١٨هـ

١١٤- مفهوم دلالة السياق عند الأصوليين دراسة نظرية تطبيقية ، سعد بن مقبل بن عيسى العنزي رسالة ماجستير -كلية الشريعة والدراسات الإسلامية -جامعة أم القرى -المملكة العربية السعودية د ط-ت

١١٥- مفهوم النص دراسة في علوم القرآن ، حامد نصر أبو زيد ، ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب في ١٩٩٠م

١١٦- مقاييس اللغة، المؤلف: أبي الحسين أحمد بن فارِس بن زكَرِيّا، المحقق: عبد السَّلام هَارُون، لناشر : اتحاد الكتاب العرب، الطبعة: ١٤٢٣ هـ /٢٠٠٢م

١١٧- مقدمة التفسير لابن تيمية، شرح محمد بن صالح العثيمين، اعداد وتقديم: أد /عبدالله بن أحمد الطيار، دار الوطن بالرياض، الطبعة:١، في ١٤١٥هـ

١١٨- الملل والنحل، الشهرستاني، تحقيق: السيد محمد كيلاني، دار المعرفة-بيروت، في ١٤٠٤هـ

١١٩- المنطلقات الفكرية والعقدية لدى الحداثيين للطعن في مصادر الدين، بحث من مجلة: كلية الشريعة، الجامعة الأردنية للباحث: أنس سليمان المصري، مجلد:٤٢، عدد: ١، لسنة ٢٠١٥م).

١٢٠- منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير ، تأليف : د/فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، الطبعة الثانية في ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، طبع بإذن رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالسعودية -الرياض

١٢١- الموافقات في أصول الفقه،، إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي ، دار المعرفة – بيروت، تحقيق : عبد الله دراز

١٢٢- موت المؤلف نقد وحقيقة، بارت، ترجمة د/ منذر عياشي، مركز النماء الحضاري، دار لوسوي-باريس، ط:١ في١٩٩٢م

١٢٣- نحو نقد العقل الإسلامي، محمد أركون، ترجمة: هشام صالح، ط: دار الطليعة، بيروت- ط:١، في ٢٠٠٩م.

١٢٤- النص السلطة الحقيقية، نصر أبوزيد، المركز الثقافي العربي-الدار البيضاء، الطبعة الأولى، في: ١٩٩٥م.

١٢٥- نظرية السياق دراسة تأصيلية دلالية نقدية، د/ عبد الفتاح المثنى، دار وائل للنشر، ط١، ١٤٢٩هـ

١٢٦- نظرية السياق، نجم الدين قادر كريم الزنكي ، ط: دار الكتب العلمية-بيروت، في ٢٠٠٧هـ

١٢٧- نظرية السياق بين القدماء والمحدثين، عبد المنعم خليل، ط: دار الوفاء- الإسكندرية، ط ١، في ٢٠٠٧م

١٢٨- نقد الخطاب الديني -حامد نصر أبوزيد ،ط: دار سينا للنشر، في: ١٩٩٢م

١٢٩- نقد النص، علي حرب ، المركز الثقافي العربي، لبنان- بيروت، ط: ٤، ٢٠٠٥م.

١٣٠- نماذج من أشكال الخطاب حول الحداثة في السياق العربي الإسلامي،(بحث) للباحث: جمال الدين بن عبد الجليل، الغد، العدد الأول في مايو ٢٠٠٣م

فهرس موجز لموضوعات البحث الرئيسية

الموضوع
عنوان البحث: السياق القرآني عند المفسرين بين ضوابط المعتدلين وقراءات المغالين دراسة تأصيلية نقدية مقارنة
ملخص البحث باللغتين؛ العربية والانكليزية.
مقدمة البحث؛ وفيها: أهمية البحث وأسباب اختياره، منهجه وخطة السير فيه، و بعض الدراسات السابقة.
المبحث التمهيدي: نظرات في المفردات المكونة لعنوان البحث.
الفصل الأول: ظاهرة السياق القرآني بين القدامى والمحدثين؛ تأصيل وتبيين (الجانب النظري)، وفيه:
المبحث الأول: حجية السياق القرآني بين الإمكان والوقوع والإلزام.
المبحث الثاني: أركان السياق القرآني وعناصره وأنواعه
المطلب الأول: مجالات السياق القرآني عند المعتدلين
المبحث الثالث: أهمية السياق القرآني
الفصل الثاني: إعمال السياق القرآني؛ مجالات ومآلات بين الانضباط والانفلات، وفيه:

المبحث الأول: مجالات ومآلات استعمال السياق عند المعتدلين، وفيه
المطلب الأول: مجالات السياق القرآني عند المعتدلين
المطلب الثاني: مآلات السياق القرآني عند المعتدلين
المبحث الثاني: مجالات ومآلات قراءات العقلانيين والحداثيين للنص القرآني بسياقه ، وفيه:
المطلب الأول: مجالات السياق القرآني عند العقلانيين:
المطلب الثاني: مآلات السياق القرآني عند العقلانيين
المطلب الثالث: مجالات السياق القرآني عند الحداثيين
المطلب الرابع: مآلات السياق القرآني عند الحداثيين
الفصل الثالث: ضوابط السياق القرآني بين الإعمال والإهمال ، وفيه:
المبحث الأول: أهم ضوابط السياق القرآني، وموقف المغالين منها.
المبحث الثاني: نماذج حاكمية للتفسير بالسياق بين الانضباط والانفلات
خاتمة البحث، وفيها: أهم النتائج وأولى التوصيات.